مجلة جامعة الملك سعود، م٢٠، الآداب (٢)، ص ص ١٨٧- ٢٥٣ (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ)

القيم الصوتية في الخطاب النسائي في القرآن الكريم
دراسة دلالية

عويض بن حمود العطوي
أستاذ مساعد، بكلية المعلمين بتبوك، قسم اللغة العربية
تبوك، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٨/٦/٤هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٩/٣/١٢هـ)

ملخص البحث. تهدف الدراسة المعنونة بـ : القيم الصوتية في الخطاب النسائي في القرآن الكريم إلى إبراز أثر الصوت - بوصفه المكون الأصغر للكلمة - في توجيه المعنى أو إيضاحه في نص محدد، شمل خطاب (امرأة عمران، ومريم امرأة إبراهيم، وامرأة العزيز، والنسوة، وملكة سبأ، وامرأة فرعون، وأخت موسى، وابنتا الرجل الصالح، وأم موسى، وزوج النبي ρ)، وذلك من خلال محاور معينة هي:

١- مخارج الأصوات وصفاتها.

٢- الحركات والمدود.

٣- الفواصل.

وقد اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الإحصائي التحليلي لمعرفة تأثير الصوت في المعنى، واتضح من خلال هذا المنهج النتائج التالية:

أ) رغم قلة الخطاب النسائي الذي ورد على ألسنة النساء إلا أنه مثل كل أنماط النساء: الأم،

والزوجة، والعزباء، والحاكمة، وكل أنماط الخطاب: الابتهال والنجوى، المكر والقوة، العقل والرزانة، العفة والشرف، الخضوع والشهوة.

ب) أن الجزم بدلالة الصوت على معنى محدد لا ينفك عنه أمر غير مُسلم، وبهذا تكون الدلالة الصوتية داعمة للمعنى لا منشئة له.

جـ) أن دلالة الحركات (القصيرة والطويلة) كانت أوضح من دلالة الصفات والمخارج، مما يوجب العناية بهذا الأمر.

د) أن تأثير موضوع الخطاب في نوعية الصوت وحركته أوضح من تأثير جنس المتكلم به.

هـ) أنه لا توجد مؤشرات واضحة على اختصاص المرأة بأصوات معينة، اللهم إلا ما يخص النون من حيث نسبة التكرار.

تمهيد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من ملك ناصية البيان، محمد بن عبدالله وآله وصحبه، وبعد.

فهذه دراسة تعنى بالقيم الصوتية في نص محدد هو الخطاب النسائي في القرآن الكريم؛ ونعني به ما تكلمت به المرأة، أي ما أجراه الله على لسانها في القرآن العظيم(١)، وليس من هدف الدراسة التنظير في هذا الباب، لضيق مساحة البحث عن ذلك، لذا لن تخوض في الخلاف القديم الحديث بشأن دلالة الأصوات على معان محددة، بل ستتخذ هذه الدراسة منهجا محددا يقوم على الاستقراء الكامل لخطاب المرأة في القرآن والإحصاء ثم التحليل، من خلال محاور معينة هي:

---

(١) هنا مسألة قد ترد على الذهن، مفادها: ما حكي الله على ألسنة الأنبياء والأقوام والعجماوات، أمن كلام الله هو أم من كلامهم، وأ يصح أن ننسبه إليهم مباشرة فنقول: قال فرعون، قال موسى، قال إبليس، أم ننسبه إلى الله، ونقول فيما حكاه الله عن موسى وفرعون ..... ؟وانظر تفصيل ذلك في كتاب: الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن، للإمام الصنعاني (ت ١١٨١ هـ)، تحقيق: د. عبدالوهاب الديلمي، (مكتبة الإرشاد صنعاء، ط(١)، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م).

دلالة مخارج الأصوات وصفاتها.

دلالة الحركات والمدود.

دلالة الفاصلة القرآنية.

ستحاول هذه الدراسة – من خلال ذلك- الإجابة على سؤالين رئيسين يمثلان فرضية البحث هما:

ما مدى وجود علاقة بين الصوت والمعنى ؟

ما مدى وجود علاقة بين الصوت والجنس؟

يتفرع عنهما سؤالان فرعيان:

ما أثر (مخرج الصوت وصفته، والحركات والمدود، والفواصل) على المعنى؟

ما مدى اختصاص (مخرج الصوت وصفته، والحركات والمدود، والفواصل) بالجنس؟

وليس يخفى على كل من له عناية بدراسة الأصوات ما فيه من صعوبة، وخطورة أيضا، وخصوصا إذا تعلق الأمر بالنص القرآني، ولهذا تعد الدراسات في هذا المجال قليلة إذا ما قورنت بغيرها من مجالات الدراسات القرآنية الكثيرة، وفي هذا يقول أحمد ياسوف: "ولم يهتم كل دارسي الإعجاز البياني بمثل هذه الجزئيات الفنية وكأنما يخشون مزالق هذا الفن الصوتي..."⁽٢⁾.

ومما شجعني للمضي فيه قدما ما رأيت من اهتمام أعلام سبقوا، لهم قدم راسخة في الشريعة وعلوم العربية، ومن هؤلاء ابن القيم (ت ٧٥٧ هـ) الذي نبه على مثل هذه الجوانب، حيث يقول في هذا الشأن بعد تفسيره للضمائر من الناحية الصوتية : " فتأمل

---

(٢) دراسات فنية في القرآن الكريم ، د. أحمد ياسوف، (دار الكتبي، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م) ص ٣٤٨ .

هذه الأسرار ولا يزهدنك فيها نبو طباع أكثر الناس عنها ، واستغناؤهم بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها والتنبيه عليها ، فإني لم أفحص عن هذه الأسرار وخفي التعليل في الظواهر والإضمار إلا قصد التفكر والاعتبار في حكمة من خلق الإنسان وعلمه البيان⁽٣⁾ " .

بل ويذكر عناية شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) بذلك حيث يقول عنه : " وهذا باب يقوم من تتبعه سفر ضخم⁽٤⁾ وعسى الله أن يساعد على إبرازه بحوله وقوته ، ورأيت لشيخنا أبي العباس ابن تيمية فيه فهماً عجيباً ، كان إذا انبعث فيه أتى بكل غريبة ، ولكن كان حاله فيه كما كان يتمثل :

تألق البرق نجديا فقلت له   يا أيها البرق إني عنك مشغول⁽٥⁾

وقد عني بهذه الدلالة وتلك الإيحاءات للصوت اللغوي عدد من علماء العربية⁽٦⁾ ، ولعل من أظهرهم في هذا السياق ابن جني (ت ٣٩٢هـ) رحمه الله ، حيث أفاض في هذا الموضوع حتى تعرض لجل جوانبه فقد تحدث عن دلالة حروف المعجم من

---

(٣) بدائع الفوائد ، ابن القيم (ت ٧٥٧ هـ) ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، وآخرون ، (مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)١/١٨٩ ، وانظر أيضا : ١/١١٦ ، 185، و ٢ / 387 .

(٤) لعل المعنى : يقوم لمن تتبعه سفر ضخم .

(٥) بدائع الفوائد ١/١١٦.

(٦) للخليل وسيبويه إشارات في هذا المجال ، لكنها لا تصل لحد التنظير كما هو الأمر عند ابن جني ، انظر مثلاً : الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، (مكتبة الخانجي ، دار الرفاعي ، القاهرة الرياض ، ط(٢)١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)٤/٢٠٤ ، ٢١٦ .

حيث صفاتها، ومخارجها، وتجاورها، وترتيبها في الكلمة(٧)، كما تحدث عن أثر الحركات والمدود في المعنى(٨)، وأوضحه ببعض الصيغ ذات الدلالات المعبرة(٩)، وكلام ابن جني يطول في هذا المقام، والبحث يقصر عن ذكره، وسنورد بإذن الله من كلامه ما نحتاج إليه في موضعه.

مصطلحات الدراسة

لكون هذه الدراسة تتعرض لمصطلحي، الصوت، والخطاب، فلا بد من بيان المقصود بهما بإيجاز:

الصوت لغة: هو الجرس، والجمع أصوات، وهو يشمل صوت الإنسان وغيره(١٠).

وأما **اصطلاحا**: فهو عند ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ): " هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع "(١١)، وعند ابن جني " عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف

---

(٧) أفرد لها ابن جني كتاباً كاملاً هو سر صناعة الإعراب، وانظر ذلك أيضاً في الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط بدون) ٢ / ١٤٥، وما بعدها.

(٨) انظر: الخصائص: ٢/ ١٥٣.

(٩) انظر: الخصائص: ٢ / ١٥٢، وما بعدها.

(١٠) انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، مادة: صوت.

(١١) أسباب حدوث الحرف، ابن سينا، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ط، بدون، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨ م) ١٠.

بحسب مقاطعها "(١٢) .

ومن خلال ما ذكر يمكن القول إن القدماء وصفوا الصوت عموماً والصوت اللغوي خصوصاً بأوصاف حددت المراد منه، ويمكن أن نخرج من ذلك بأن : " الصوت عند علماء العربية هو أثر سمعي يصدر عن أعضاء النطق غير محدد بمعنى في ذاته أو غيره " (١٣).

وأما **الحرف، فهو في اللغة :** الحد، والطريقة، (١٤)، يقول ابن منظور (ت٧١١هـ) : " الحرف في الأصل : الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء "(١٥)، " ومن هنا سميت الحروف حروفاً، وذلك أن الحرف حدّ مُنْقَطَع الصوت وغايته وطرفه، كحرف الجبل ونحوه، ويجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواحٍ كحروف الشيء وجهاته المحدقة به "(١٦).

كما أننا نجد عنده إشارة إلى دلالة مصطلح الحرف على الصوت، وهذا ما كان سائداً في الدرس اللغوي القديم، وعليه فيمكن القول بأن **الحرف** : " رمز كتابي للصوت اللغوي، ولفظ يدل على الصوت اللغوي أيضاً، مثل الراء بمعنى صوت الراء، وحرف

---

(١٢) سر صناعة الإعراب ، ابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، (دار القلم، دمشق ، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) ٦/١.

(١٣) (المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د.عبد العزيز الصبيغ ، (دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ط (١) ،١٤٠١ هـ - ٢٠٠٠م) ، ص: ٢١.

(١٤) انظر: مجمل اللغة لابن فارس ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ،(مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ،مادة : حرف.

(١٥) لسان العرب ، مادة : حرف .

(١٦) سر صناعة الإعراب ١ / ١٤ .

الميم بمعنى صوت الميم ، وهكذا "(١٧) .

وبما أن حديثنا سيكون عن الدلالة الوظيفية للصوت ، من خلال نص قرآني محدد ، وبما أن المفسرين والبلاغيين هم أكثر من تعرض لتحليل النصوص القرآنية ، ولورود مصطلح الحرف بمعنى الصوت عندهم كثيراً كغيرهم من القدماء كما سبق ذكره ؛ لذا فقد يرد في هذا البحث استعمال الحرف بمعنى الصوت.

الخطاب

الخطاب هو كل ما يتكلم به الإنسان ، وعند ابن منظور : "الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام"(١٨) ، وهو"يرادف الكلام لدى سو سير ، وبالتالي يعارض اللغة ، ومن سمات الكلام التعدد والتلون والتنوع"(١٩) ، ونقصد به هنا ما تكلمت به المرأة في القرآن.

وقد ورد هذا المصطلح ، في القرآن ، لا بوصفه مصطلحا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ ص٢٠ ، ووردت مشتقاته أيضا ، لذا رأيت أنه أكثر تناسبا من (اللغة ، والكلام) مع هدف الدراسة.

مجال الدراسة

وسأورد في بداية هذا البحث النص المدروس ، لأكتفي بالإشارة إليه في ثنايا

---

(١٧) المصطلح الصوتي ٢١٧ .

(١٨) لسان العرب مادة(خطب).

(١٩) مقال : تحليل الخطاب "من اللسانيات الى السيميائيات '' (١ / ٢)، أحمد يوسف) ، (موقع ضفاف الإداع، ٢٥ : نوفمبر ٢٠٠٦ ، http://www.difaf.net/modules.php?name=News&file=article&sid=559

البحث، وقد ميزت الخطاب المدروس بخط تحته.

امرأة عمران : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٣٦) ﴾)آل عمران٣٦.

مريم عليها السلام : ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران٣٧، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ آل عمران٤٧، ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) ﴾ مريم٢٣.

امرأة إبراهيم : ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ هود٧٢، ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ الذاريات٢٩.

امرأة العزيز : ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ ...{٢٣} ... ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {٢٥} ... ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ {٣٢} ... ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ (٥٢) ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قَالَتِ امْرَأَةُ يوسف ٥٣.

النسوة : ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا

لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (٣٠)... ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴾ (٣١) ... ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ ﴾ يوسف ٥١

ملكة سبأ : ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (٣١) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ (٣٢) قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ (٣٣) قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ {٣٥} ... ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴾ {٤٢} ... ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ النمل ٤٤.

امرأة فرعون : ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ القصص٩.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ التحريم١١

أم موسى عليه السلام : ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ القصص١١.

أخت موسى عليه السلام : ﴿۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ القصص١٢.

ابنتا الرجل الصالح : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ

مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ {٢٣} ... ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {٢٥} ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ القصص٢٦.

زوج النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ التحريم٣.

المبحث الأول: دلالة مخارج الأصوات وصفاتها

من الصعوبة بمكان تفسير دلالة كل حروف الخطاب النسائي في القرآن، لذا سنعمد إلى دراسة الأصوات التي تشكل نمطاً مميزاً، وذلك من خلال ما يأتي:

- تكرار الحرف وكثرة دورانه(٢٠).
- ندرته وقلته.
- إسهامه في تشكيل دلالة معينة.

وستكون الدراسة معتمدة على استثمار صفات الحروف، ومخارجها كما هو مبسوط في علم التجويد، وفقه اللغة(٢١)، كما لابد أن يكون ذلك من خلال سياق معين، وإنما قلنا هذا لأنه " ليس للصوت درجة قيمية داخل نفسه، وإنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق، الذي يعتبر المكان الآمن الذي تؤدي فيه

---

(٢٠) أقصد بالتكرار ماكان في الكلمة الواحدة، أما كثرة دورانه ففي الكلام كله.

(٢١) مثل: التجويد الواضح للشيخ أحمد الطويل، (دار ابن خزيمة – الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م)، ص: ٣٣٠، والخصائص: ١/ ٦٥، ٢ / ١٥٧ - ١٦٣

الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات"(٢٢).

وحتى يتضح حجم المكرر والكثير من القليل والنادر أجريت هذه الإحصاءات الشاملة للخطاب النسائي كله، ليتضح أنه تكَوَّن مما يقارب (١١٨٦) صوتا، وأن هناك أصواتاً كثر ورودها، وأخرى قل أو ندر ورودها، فأما التي كثر ورودها فكانت على النحو الآتي موازنة بما جاء في القرآن عموماً، الذي بلغ مجموع حروفه ما يقارب (٣٢٦٥٦٠). (انظر الجدول رقم ١).

الجدول رقم (١).

م	الحرف	في الخطاب النسائي	النسبة التقريبية	م	الحرف	في القرآن عموماً	النسبة التقريبية
١	النون	(١١٧) مرة	١٠٪	١	اللام عموما	(٣٨١٨٩) مرة	١٢٪
٢	اللام(المنطوقة)	(١٠٧) مرة	٩ ٪	٢	النون	(٢٧٢٦٥) مرة	٨ ٪
٣	الهمزة	(٨٧) مرة	٧ ٪	٣	الميم	(٢٦٧٤٧) مرة	٨ ٪
٤	الميم	(٧٨) مرة	٦,٦٪	٤	الهمزة	(١٩١٧٠) مرة	٦ ٪
٥	الهاء	(٥٤) مرة	٥ ٪	٥	الهاء	(١٤٨٥٠) مرة	٥ ٪
٦	الراء	(٥٢) مرة	٥ ٪	٦	الراء	(١٢٤٠٣) مرة	٤ ٪

ومن خلال هذا الجدول يتضح لنا أن شيوع الأصوات في الخطاب النسائي يتناسب إلى حد كبير مع شيوعه في القرآن كله بالترتيب نفسه، باستثناء تقدم الهمزة على الميم في

---

(٢٢) علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، (دار صفاء عمّان، ط (١)، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م) ص: ٥٤٣، و انظر المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، د. ممدوح عبد الرحمن (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط (بدون) ١٩٩٤م)، ص: ٣٩.

الخطاب النسائي وتأخرها عنها في عموم الخطاب القرآني، ولعل سر ذلك هو ذاتية الخطاب النسائي والهمزة خير ما يصور ذلك، وكذلك (النون) الذي يظهر من الجدول السابق أن نسبته في الخطاب النسائي أكثر منها في الخطاب القرآن بمجموعه، وإن كان الفارق ليس كبيرا فقد بلغ ٢٪، لكنه –مع ذلك- يظل هو الحرف الأظهر في هذا الفرق.

وهذه النتيجة الإحصائية المهمة تبين أنه لا توجد دلالات إحصائية قوية تجعلنا نحكم بوجود أصوات خاصة بخطاب يخص فئة معينة، غير ما أشرنا إليه، وهو لا يمثل عينة يمكن أن يحتكم إليها، ولو كان ذلك موجوداً لظهر في خطاب المرأة لوجود الفروق العديدة بين الجنسين، خصوصاً أن هناك دراسات تثبت بعض الفروق اللغوية بينهما على مستوى الكلمة والجملة والتصوير، فقد جاء في نتائج دراسات عدة تتعلق بلغة المرأة القول بغلبة الألفاظ التي تدل على قوة المشاعر والعواطف والانفعالات، هذا من جهة، والكلمات التي تميل إلى اللطافة والحب والود والأمومة من جهة أخرى**(٢٣)**، كما توجد إشارة لارتباط بعض الحروف بالجانب النسائي كما جاء عند ابن القيم (ت ٧٥٧ هـ) في تعليله لدلالة التاء في اسم الإشارة(هاته) على المؤنث، والذال في(هذا) على المذكر، حيث يقول: " والعهدة في مواطن التخاطب على اللسان، ولا يمكن إشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان التي هي آلة الإشارة دون سائر أجزائه، فإما الذال أو التاء، فالتاء مهموسة رخوة، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها بالبيان، والذال مجهورة فخصّت بالإشارة إلى المذكر، وخصت التاء بالإشارة إلى المؤنث لأجل الفرق، وكانت التاء به أولى لهمسها، وضعف المؤنث ؛ ولأنها قد تثبتت علامة للتأنيث في غير

---

(٢٣) انظر: اللغة واختلاف الجنسين، د. أحمد مختار عمر، (عالم الكتب، القاهرة، ط(١) ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ص: ٩٧.

هذا الباب"(٢٤)، ولهذا كان الاعتقاد السائد أن "سلطة الخطاب النسائي أضعف من الخطاب الرجالي"(٢٥).

ودراستنا هذه تثبت -في الجملة- من خلال النص القرآني عدم وجود صلة ذات دلالة بين الجنس وبين الأصوات الواردة في خطابه، وهذا يجيب عن إحدى فرضتي البحث المتمثلة في وجود علاقة بين الصوت والجنس من عدمها، ، وأما الفرضية الثانية التي بني عليها البحث –وهي مدى وجود علاقة بين الصوت والمعنى فما زالت قائمة، وهذا ما يجعلنا نهتم بأمر آخر غير الجنس ألا وهو الموضوع، ويبقى الجنس الذي حددنا هو مجال الدراسة فحسب، مع الاهتمام بالدلالات الجزئية التي يدعمها الدليل اللفظي أو السياقي القائمة على الموازنات الداخلية بين الخطابات .

وبالاستعراض العام للأصوات الأكثر حضورا في الخطابات التي شكلت خطاباً مكتملاً(٢٦)، وهي خطاب (امرأة عمران، مريم، امرأة العزيز، النسوة في المدينة، ملكة سبأ، امرأة فرعون، أخت موسى، ابنتا الرجل الصالح، امرأة إبراهيم)، نلحظ ما يأتي:

أولا:النون

جاءت النون في المرتبة الأولى في الخطاب النسائي كله حيث وردت (١١٧) مرة وهي بذلك تتقدم على اللام التي لها السيادة في الخطاب القرآني عموماً، ولابد من التنبيه على أن المعتمد في دراستنا هذه هو (اللام المنطوقة)، فاللام الشمسية غير داخلة في الإحصاء وعددها(١٢)، وبدخولها تزيد اللام على النون بفارق يسير لتصبح(١١٩)،

---

(٢٤) بدائع الفوائد : ١ /١٩٠ .

(٢٥) المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، خديجة صبار، (أفريقيا الشرق ، ط بدون) ٨٣.

(٢٦) نريد بهذا إخراج الخطابات ذات الكلمات القليلة لأنه لادلالة للإحصاء معها.

وما في القرآن محسوب فيه اللام الشمسية(٢٧) ؛ وإذا نظرنا إلى المشدد من النون وجدناه قد بلغ (٣٤)، بينما بلغ المشدد من اللام (٩) فقط، وبهذا تتفوق النون على اللام في الخطاب النسائي، وهذا لايعني أن (النون) كانت الأكثر في كل الخطابات، كلا، بل هي كذلك في أربعة فقط هي: خطاب امرأة فرعون (١٦) بنسبة١٦٪، ومريم (١٩) بنسبة١٣٪، وامرأة عمران (١٢) بنسبة١١٪، وامرأة العزيز (٣١) بنسبة ١١٪.

وبالنظر العام في هذه الخطابات نجد أن القاسم المشترك بينها هو الطلب والابتهال والتضرع والشكوى باستثناء خطاب امرأة العزيز الذي قد يوحي فيه مركزها بقوته، لكن هذا العارض يتلاشى إذا أدركنا أن مايقارب نصف هذه النونات قد جاء في خطابها بعد التوبة، وهو موضوع ليس بعيداً عما ذكرنا آنفاً.

وموضوع الابتهال والتضرع والطلب يتناسب معه كثيراً صوت (النون) لما فيه من خصائص يتميز بها ؛ حيث إن مخرجه من طرف اللسان، مع محاذاة لثة الثنايا العليا، تحت مخرج اللام، وفيه من صفات الضعف: الرخاوة والاستفال والانفتاح، والإصمات، ومن صفات القوة: ، الجهر، لذا فهو يصنف من فئة الأصوات الضعيفة(٢٨)، ومن هنا نجد المناسبة واضحة، فالمرأة بطبيعتها ضعيفة لطيفة، والخطابات التي سيطرت فيها النون اتسمت بمظاهر الضعف واللطف، وإذا أضفنا إلى ذلك ماتختص به النون مع الميم من الغنة(٢٩) وما فيها من دلالات: كالذاتية والخشوع والرقة، وذلك لما يحسه الناطق بها من

---

(٢٧) ومن أظهر الألفاظ في هذا المجال: لفظ الجلالة، والذي وأخواته، وهذه تشكل ما يقارب (٣٠٠٠) موضع وعلى هذا يمكن أن يقاس الباقي.

(٢٨) انظر: التجويد الواضح ٣٢٩.

(٢٩) ليس في النون ولا الميم المتحركتين غنة، وإنما الغنة في الساكنة غير المظهرة، والمشددة، ومراتبها كالتالي: أعلاها المشددة ، ثم تليها المدغمة، ثم تليها المخفاة، ، انظر التجويد الواضح ١٢٤..

اهتزاز ورخامة كأنما تنساب في أعماقه، بالإضافة إلى وجودها في كلمات تدل على ذلك وتشعر به، لذا قيل بأن النون صوت رخيم معبر عن الذاتية والصميمية "وهذه الإيحاءات الصوتية في النون مستمدة أصلاً من كونها صوتاً هجائياً ينبعث من الصميم للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق (أنَّ أنيناً)، ولذلك كان الصوت الرنان ذو الطابع النوني (أي: ذو المخرج النوني) الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع " (٣٠).

كل ذلك يجعلنا نتعامل مع هذا الصوت بطريقة خاصة، وقد كان خطاب امرأة فرعون الذي اشتمل على أعلى نسبة في تردد هذا الصوت هو الأولى بالتقديم، حيث لا تكاد تخلو كلمة من كلماته من هذا الصوت: (عين، أن، ينفعنا، نتخذه، ابن، عندك، الجنة، نجني (٢)، مِنْ (٢)، فرعون، الظالمين)، واللافت للنظر أنه لاتوجد فيها إلا نون واحدة مشددة، وهذا ما لا نجده في الخطابات الأخرى المدروسة، وبغياب الغنة تمثل النون أضعف أحوالها وألطفها، وقد جاء أكثر من نصفها مُحركاً لتكون بذلك بعيدة عن رنين النون وغنتها وظهورها، ولغة الخطاب لديها كانت تتجه نحو الطلب، من خلال: النهي المجازي على سبيل الاستعطاف والاسترحام(٣١) (لاتقتلوه) والترجي(عسى أن ينفعنا) في الموقف الأول، والنداء(رب) والأمر المجازي المراد به الدعاء (نجني) في الثاني، وكلا الموقفين –كما نرى- يتطلبان لطفاً ورقة لا رنيناً ولاجمالاً مما تشعر به غنة النون.

---

(٣٠) خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، (منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط بدون، ١٩٩٨م)، ص ١٦٠.

(٣١) انظر: روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط بدون) ٤٨/٢٠.

والخطاب الثاني هنا هو خطاب مريم عليها السلام الذي وردت فيه النون (١٩) مرة، بنسبة١٣٪، في الكلمات (من، عند، إنِّ، مَن، أَنَّى٢ يكون٢، يمسسني٢، إنِّي، الرحمن، منك، إن، كنت، يا ليتني، كنت، نسياً، منسيا) وقد وردت النون فيها مُغنة (١٤)مرة، منها(٤) مشددة، ولعلنا من خلال هذا نستطيع القول بأن غنة النون وما تشعر به من اهتزاز واضطراب، يمكن أن يصور حالة الخوف التي انتابت مريم حين فاجأها الملك، وهو أمر تنفرد به دون غيرها، ولعل هذا سر زيادة النونات في خطابها، ذلك أن الخائف الوجل غالباً ما يُصبغ كلامه بهزة تصور مشاعره، خصوصاً أن مريم عليها السلام قد واجهتها مجموعة من العوامل التي أوجدت هذا الخوف في نفسها، فهذا الإنسان السوي الذي يكلمها في خلوة من الناس، ويحدثها عن غلام لها وهي العفيفة النظيفة وهي العزباء التي لم تتزوج بعد، لا شك أن كل هذا يحدث هزة عنيفة في نفس مثل هذه المرأة الشريفة، كما أن حملها بلا زوج سيوقعها في حرج مع قومها، وتحمل هم إقناعهم بما حصل لها، كما أن وضعها لحملها وهي وحيدة ضعيفة جعلها تشعر بالخوف على نفسها وجنينها، لذا جاءت هذه النون لتشكل (١٩) حرفا من أصل (١٤٨) حرفاً هو مجموع كلامها كله .

لكن ما يجعلنا نتساءل هنا، أن النون مادام هو الصوت السائد المصور لحالها، فلم حذف من قولها : (ولم أك)؟

وهل يمكننا القول بأن الموقف له أثره في ذلك، أو نقول بأن وجود الكاف له أثره، أو وجود النفي له أثره ؟

الملحوظ هنا أن هذا التعبير لم يأت إلا في مقابلتها للروح الأمين - عليه السلام - عندما تمثل لها في صورة إنسان كامل الخلقة، وهي في خلوة، والشيء الذي تنفيه هو البغاء وهو أمر قبيح مذموم وهي بريئة منه بعيدة عنه، والنون فيها جمال ورنين، ومريم عليها السلام عفيفة شريفة فليس الموطن هنا موطن جمال، ولا هو تعبير عن مكنون

نفس ؛ لذا كان حذف (النون) ألطف حتى لا يبقى ما يشعر بنسبة ذلك إلى مريم ، إذ النون كما قلنا تشعر بالذاتية والصميمية فحذفت هنا لما ذكرنا ، بينما لم تحذف في سياق الدعاء مع زكريا عليه السلام : ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ مريم٤ ؛ لأنه يتحدث عن مطلب قريب من نفسه ، ويحب أن ينسب إليه .

فلما كان المراد من هذه الجملة من قولها : (ولم أك بغيا) تأكيد تنزيه جانبها من الفحشاء(٣٢) حذفت النون لقطع كل صلات البغي بها .

وإنما احتاجت هنا أن تنفي البغاء لخوف التهمة ، وأما في آل عمران فلا تهمة ؛ لذا اقتصرت على نفي النكاح ، ولعلمها أنهم هناك في آل عمران ملائكة ينادونها ولا يُتخيل فيهم التهمة بخلاف ما ورد في سورة مريم(٣٣) ، ومما يدل على عنايتها بنفي كل لوازم ومتعلقات البغاء عنها إيثار فعل الكون ونفيه وحذف النون منه كما ذكرنا ، يذكر الألوسي أن سبب قولها هذا إنما هو " لزيادة الاعتناء بتنزيه ساحتها من الفحشاء ، ولذا آثرت (كان) في النفي الثاني ، فإن في ذلك إيذاناً بأن انتفاء الفجور لازم لها"(٣٤) ، ويقول البقاعي في هذا الشأن : " لما هالها هذا الأمر ، أداها الحال إلى غاية الإسراع في إلقاء ما تريد من المعاني لها لعلها تستريح مما تصورته ، فضاق عليها المقام ، فأوجزت حتى بحذف النون من (كان) ، ولتفهم أن هذا المعنى منفي كونه على أبلغ وجوهه فقالت (ولم أك)(٣٥) .

---

(٣٢) انظر : فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني(مؤسسة الريان ، بيروت ، دار المغني الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م) ٣ / ٤٣٠ .

(٣٣) روح المعاني ١٦ / ٧٧ .

(٣٤) روح المعاني ١٦ / ٧٧.

(٣٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، اعتنى به : عبدالرزاق غالب المهدي(دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(١) ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م)٤/٥٢٨

وقد يكون الاكتفاء بالكاف هو الأنسب هنا لأنه حرف مهموس والمعنى هنا أمر يراد ستره وإخفاؤه والنون برنتها وغنتها وجمالها لا تتناسب مع ذلك.

وفي خطاب امرأة عمران نجد حضورا للنون المشددة بنسبة تشكل نصف عدد النونات فيه، (إني (٤)، نذرت، بطني، مني، إنك، أنت، أنثى، من، الشيطان)، وهو خطاب له طبيعته الخاصة، فهو فوق أنه صادر من مؤمنة موقنة، هو صادر عن أم في شأن يتعلق بجنينها الذي بين أحشائها، والأنثى ينتظر منها اللطف واللين في شأنها كله، ومن ذلك الخطاب ونوع الكلام فكيف إذا كانت أماً، وهي تتحدث عن نموذج ربما لم يؤلف عند كثير من الأمهات يتمثل في نذرها هذا المولود لله، فكيف ستكون مناجاة هذه الأم في هذا الشأن، وفي هذا الظرف الذي فطرت فيه الأم على الحنو على وليدها وحفظه والتعلق به.

وعند استعراض خطابها يمكن تقسيمه إلى مقطعين الأول يصور حالتها وهي تتوجه إلى ربها بنداء إيماني عميق ليتقبل منها سبحانه نذرها، والثاني يصور حالتها بعدما فوجئت بكون مولودها أنثى على غير ما أمّلت وفيه نجد نبرة الحزن، وشكاية الضعف لربها سبحانه .

وبالتأمل نجد أن النون، جاءت في المقطعين في كلمات أكثرها يشعر بالذاتية للمتكلمة بهذه النجوى مثل : (إني أربع مرات، نذرت، بطني، مني)، بدلالة (تاء و ياء المتكلم)، وهذا يدل على أنها تتحدث عن نفسها، وتظهر مكنون ذاتها، وهذا يوحي بأن خطابها متجه نحو الداخل، لتصوير عظم صدقها وإخلاصها، وعمق إحساسها.

ثانيا : اللام

وهو الصوت الأكثر حضوراً بعد النون في الخطاب النسائي عموماً، وهو الأكثر في خطاب (أخت موسى) (٧) مرات بنسبة ١٨٪، وخطاب الملكة (بلقيس) (٢٦) مرة بنسبة

١١,٥٪، وخطاب النسوة (١٢) مرة بنسبة١١٪.

وهذا يدعونا أن نتساءل عن علو نسبة هذا الصوت في خطاب أخت موسى عليه السلام خصوصاً، وتصدره لخطاب الملكة والنسوة أيضا؟.

وللإجابة على ذلك لابد أن نعرف أولاً أن اللام صوت يخرج من أدنى حافتي اللسان إلى منتهى طرفه مما يقابل الأضراس الضواحك والأنياب والرباعية والثنايا، وصفاته هي: الجهر والانحراف والتوسط بين الرخاوة والشدة والاستفال والانفتاح والذلاقة، وبهذا ندرك أنه صوت متوسط، وهو "يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق "(٣٦)، وقد أشار ابن جني (ت ٣٩٢هـ) إلى ليونة اللام، وإشعارها بالقرب والالتصاق في حديثه عن تقليب(س م ل)، حيث قال: " والمعنى الجامع لها المشتملُ عليها الإصحاب والملاينة"(٣٧).

ولعل هذا يعود إلى كيفية النطق بها، فاللسان يلتصق أولاً بالحنك الأعلى ثم ينفك عن الحنك وينفلت النفس خارج الفم، وهذا قد يشير إلى التجميع ثم الإخراج من جهة، والتملك والحيازة من جهة أخرى، ويؤيد هذا حركة اللسان الاحتوائية، فهو يغطي المساحة من أدنى حافتي اللسان إلى الطرف، مع الالتصاق بالأضراس، والضواحك، والأنياب، والرباعية، والثنايا مما هو في محيطة.

فلو تأملنا خطاب أخت موسى عليه السلام الذي وردت فيه اللام (٧ مرات)، بأعلى نسبة ١٨٪، لوجدنا أنها وردت في الكلمات الآتية (هل، أدلكم، على، أهل، يكفلونه، لكم، له) وهي تشكل جل الخطاب، ولعل اللام بدلالاتها السابقة تشعر هنا بخوفها على موسى ومحاولتها القرب منه ويدل على هذا قوله تعالى عنها: (فبصرت به عن

---

(٣٦) خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: ٧٩.

(٣٧) الخصائص ٢/١٣٧.

جنب)، كما أن هذا يبرهن على رغبتها في تقديم ما يمكن من النفع له، كما أنها تريد استدرار عطفهم ليشفقوا عليه، ولعل هذا كله تمثله كلمات مثل: (يكفلونه، لكم، له، ناصحون) وما في اللام من لصوق اللسان ثم انفلاته قد يصور الحالة التي تعيشها أخته من الشفقة عليه ومحاولة القرب منه، وحيازته إلى بيت أمها، وبذلها ما تستطيع لإقناعهم بذلك، وفي الوقت ذاته هي لا تريد أن يعرفها أحد، فهي تعيش حالة منازعة: القرب الحسي والشعوري الذي تعيشه في الحقيقة، ومحاولة عدم إظهار ذلك لآل فرعون، ولعله من الواضح أن هذه القضية هي موضوع الخطاب فعلا، وأن الحالة المذكورة هي الحالة الحقيقية لها حسيا وشعوريا، وأن اللام كانت الصوت الأظهر في تصوير هذه الحالة.

ويأتي خطاب الملكة(بلقيس) في المرتبة الثانية من حيث نسبة ورود (اللام)، حيث بلغت ١١,٥٪، بعدد(٢٦) والكلمات التي اشتملت على هذا الحرف هي: (الملأ(٢)، ألقي، إليّ، سليمان(٢)، الملوك، دخلوا، وجعلوا، أهلها، أذلة، وكذلك، يفعلون، مرسلة، إليهم، المرسلون، ظلمت، وأسلمت، لله، العالمين " وهي تشكل عشرين كلمة من أصل أربع وخمسين كلمة هو مجموع كلمات خطابها، أي أن تلك الكلمات تشكل ما يقارب نصف خطابها، وهذه الكلمات من خلال النظر إليها نجد أنها تحمل دلالات القوة والتملك والحيازة، فنجد الأسماء: الملأ: أشراف القوم، سليمان، الملوك، أهل، مرسلة، المرسلون، وكذلك الأفعال تشعر بذلك: (دخلوا، جعلوا، يفعلون) وهذا يتناسب مع الملك وقوة الحيازة، ولا نكاد نجد في خطابها إلا كلمتين يمكن أن يدلا على الضعف حسب السياق الذي وردتا فيه وهما (ظلمت وأسلمت) وهاتان الكلمتان جاءتا في غير سياق خطابها مع قومها الذي اتسم بالقوة، وإنما جاءتا بعد ذهاب ملكها وخضوعها لحكم سليمان عليه السلام ودخولها تحت طاعته وإسلامها.

والخطاب هنا صادر عن ملكة ؛ لذا نرى أن التصاق اللسان بالحنك يشعر بالقوة والتماسك والقرب الموجب للقوة .

يذكر حسن عباس بأنه بالرجوع إلى المعجم الوسيط عثر "على مئتين واثني عشر مصدراً تبدأ بحرف اللام ، كان منها اثنان وثمانون مصدراً تدل معانيها على التماسك والالتصاق "(٣٨) ، وإذا أضيف إلى ذلك دلالة ثلاثة وخمسين تبدأ باللام على المضغ والتذوق والأكل والطعام ، وهذا كله له علاقة بالالتصاق والتماسك ، وبهذا تبلغ نسبة ما يدل على هذا المعنى (الالتصاق والتماسك) (٦٣٪)(٣٩) ، ولعل هذا ما يفسر كون اللام للملك وهو ظاهر في مثل : له لي لك ، لله ، لزيد ، "كما استخدم مقطع (ال) التعريف للتعبير عن ارتباط الأسماء التي تدخل عليها بمعرفة سابقة عنها ، لتخرج تلك الأسماء بذلك من عالم النكرة إلى عالم المعرفة ، وياله من انتباه ذكي لوظائف (اللام) ، وكذلك الأمر صراحة مع الأسماء الموصولة (الذي ، التي ... "(٤٠) .

ولعلنا نستطيع القول بعد هذا إن هذه الدلالات تتناسب مع المرأة ، خصوصاً إذا سيطرت فهي تحب التملك والجمع لذا ظهرت هذه الكلمات الدالة على ذلك ، وظهر هذا الحرف معها بوضوح .

ويبدو أن بين اللام والنون نسبا لذا كانتا الأكثر دائما ، وهذا في الخطاب النسائي أوضح ، لما في الصوتين من الليونة والرقة ، بل وما يشبه الغنة التي تناسب طبيعة المرأة في رخامة الصوت وجماله ، ولعل هذا يلحظ بوضوح من قول ابن جني (ت ٣٩٢هـ) : " ألا

---

(٣٨) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ٨٠ .

(٣٩) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ٨٢

(٤٠) خصائص الحروف الحربية ومعانيها : ٨٠ .

ترى أن في مَقطَع اللام غُنّة كالنون"(٤١)، وقوله عن مادة "(ل س م) مهمَل وعلى أنهم قد قالوا نَسَمت الريحُ إذا مرّت مرّا سهلا ضعيفا والنون أخت اللام"(٤٢).

وأما عن تصدرها لخطاب النسوة بنسبة ١١٪، حيث وردت في الكلمات الآتية : (العزيز، لنراها، ضلال، لله، إلا، ملك، علمنا، عليه) وقد تكثفت اللامات -كما هو ظاهر- في خطاب تعظيم يوسف عليه السلام والانبهار به عند رؤيته، وقد تصور اللام هنا بما فيها من تقابل في اللصوق والانفلات، ذلك التقابل الداخلي لدى النسوة وإعجابهن بيوسف عليه السلام وانجذابهن إليه، وفي المقابل شهادتهن له بالعفة والبعد عن السوء .

ومما يؤيد ماذكرنا من دلالة اللام على التملك والحيازة والقرب عند شيوعها، ما نلحظه بوضوح في خطاب امرأة عمران التي لم ترد فيه اللام إلا أربع مرات : (لك، فتقبل، العليم)، والمخاطب فيها كلها هو الله سبحانه، الذي تريد أن يكون وليدها خالصا له سبحانه، ولما كان مبنى خطابها كله على الانفصال عن وليدها ليكون محررا، وهذا مقتضى النذر(إني نذرت)، قلّت اللامات فيه، فهي في حالتها هذه تمثل ما يضاد مدلول الملكية واللصوق، لأنها تنفصل عن ولدها لا أنها ترغب في حيازته.

ثالثاً: الهمزة

تأتي الهمزة في المرتبة الثالثة من حيث الكثرة بتكرار بلغ (٨٧) مرة بنسبة ٧٪، وقد كان هذا الصوت هو الأكثر في خطاب ابنتي الرجل الصالح، حيث وردت (١٠) مرات بنسبة١٠,٥٪، في الكلمات الآتية : (الرعاء، أبونا، إن (٢)، أبي، أجر، أبت،

---

(٤١) الخصائص ٩٣/١.

(٤٢) الخصائص ١٣٧/٢.

استأجره، استأجرت، الأمين)، والهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق فهو يوحي بالذاتية والعمق والاعتداد بالنفس والثقة، وهو صوت متوسط القوة، لكنه مجهد لأعضاء النطق، فهو مجهور شديد مع ما فيه من الاستفال والانفتاح والإصمات، ونستطيع لمح هذه الدلالات من تحليل ابن جني لأصوات كلمتي (الخذا) - وأصل الألف فيه الواو- لاسترخاء الأذن، و(الخذأ) بالهمز لضعف النفس، حيث يقول: " ومعلوم أن الواو لا تبلغ قوة الهمزة فجعلوا الواو لضعفها للعيب في الأذن، والهمزة لقوّتها للعيب في النفْس من حيث كان عيب النفس أفحش من عيب الأذن"(٤٣)، وهنا نستشعر دلالة القوة النسبية من جهة، والذاتية(عيب النفس) من جهة أخرى، وهذا ما يؤدي إليه استدلال ابن القيم (ت ٧٥٧ هـ) بمخرج الهمزة من أقصى الحلق على أنه يشعر بالقرب، وذلك في تفسيره لدلالة (أنا) على المتكلم، حيث أشار أنها إنما دلت عليه لأن مخرج الهمزة من الصدر وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم ؛ إذ المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد(٤٤).

وإذا عدنا إلى خطاب البنتين نجد أنه يحمل سمات الاعتداد والثقة والجد والبعد عن الخضوع والضعف ؛ لذا وجدنا الهمزة هي المسيطرة فيه، لما فيه من تصوير الاعتداد والثقة بالنفس، كما أن في شدتها وجهوريتها ما يوحي برباطة الجأش والقوة، لذا نجد حضور الهمزة يتنامى كلما ازدادت الثقة وقوي جانب البنتين، فاللقاء الأول نجد فيه(الرعاء، أبونا) فقط، ثم لما قوي جانبهما واطمأنتا توالت الهمزة بحضور واضح .

ومما يلفت النظر هنا مجيء كلمة (الرعاء) بالهمزة دون الرعاة بالتاء مع أنها أخف وأسهل، والعرب في بعض قبائلها تميل إلى تسهيل الهمزة وتخفيف إجهادها، فما سر إيثار الهمزة عليها هنا ؟

---

(٤٣) الخصائص ٢/٦٦.

(٤٤) انظر : بدائع الفوائد ١ / 185 .

لعل سر ذلك ما ذكرناه من الرغبة في إشاعة جو من الصرامة والقوة في خطاب الرجل الغريب، وهذا يتناسب مع أمر المؤمنات بعدم الخضوع بالقول، فليس الموطن لترخيم الصوت وتنعيمه وتنغيمه، ولا حتى تلطيفه وتخفيفه، وإلا لكانت التاء أوفق به، وما يؤيد ذلك ندرة صوت الهاء مع كل ما فيه من اللطافة والرقة من خطابهما حيث لم ترد إلا مرة واحدة (استأجره).

ومما يسير في هذا المضمار أن صوت (الراء) شكل حضورا واضحا(٧)مرات بنسبة ٧,٥٪في هذا الخطاب، وهو صوت يتميز بالتكرار والطرق، مما يوحي بالقوة والصرامة، وينص ابن جني في تحليل أصوات كلمة(جر) على خاصية التكرار والاضطراب والاهتزاز في هذا الصوت(٤٥)، ويرى العقاد أن الراء فيها مع دلالة التكرار ديمومة الحدث في أكثر أحواله(٤٦)، وقد يكون مرد ذلك أن التكرار غالبا مايؤدي إلى الثبات والديمومة.

ولعلنا نلمح تلك الدلالات بسهولة في قول البنتين(استأجره) (استأجرت)، لما في الاستئجار من تبعات العمل والمشقة، وما فيه من التكرر والمعاودة.

والاعتداد والقوة والذاتية يمكن أن نجده عند الملكة؛ لذا وردت الهمزة عندها(٢٢)مرة بنسبة ٩,٧٪، وعند امرأة العزيز وقد وردت الهمزة عندها(٢٣) بنسبة ٨٪، وأما بقية الخطابات التي طابعها اللين واللطف والطلب فتقل فيها الهمزة أو تنعدم، ولعل هذا يظهر في ما ورد في خطاب امرأة فرعون ذي الطابع الطلبي اللطيف، فهو فوق ما ذكرنا من قبل من شيوع صوت النون فيه مع ندرة التشديد فيها، نلحظ فيه أيضا ندرة الهمزات حيث لم تتجاوز الاثنتين، وهما مفتوحتان إمعاناً في اللطافة والخفة (أَن، أو).

---

(٤٥) الخصائص ٢ /١٦٤ .

(٤٦) انظر : أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد، (نهضة مصر، القاهرة، ط بدون) ٤٥ .

ومما يدل على إجهاد الهمزة، العناية بنوع حركتها وتنوعها، وقد ظهر لي من خلال تتبع ورود الهمزة في الخطاب النسائي كله وجود مواضع تتقارب فيها الهمزة في كلمة واحدة أو أكثر، عند ذلك نلحظ التناوب الحركي المذهل الذي يخفف حدة الهمزة وثقلها و إجهادها مثل (إنك أنت) كسر ثم فتح و (أأَلِد وأنا)، و (سوءاً إلا أن) و (يا أيها الملأ إني أُلقي إلى) و (إن أبي) وهكذا نجد التناوب الحركي ظاهراً في الهمزة ولم أجد ما خرج عن ذلك إلا وجود فتحتين متتاليتين على همزتين متجاورتين في كلمة واحدة هي (أألِد) وهذا مقبول لخفة الفتحة، وأما الضمتان في كلمة (وما أُبرئُ) فهما غير متجاورتين فالأولى في أول الكلمة والأخرى في آخرها، وقد فصل بينهما بفتح ثم كسر.

رابعا : الميم

لم يحتل صوت الميم المرتبة الأولى في أي خطاب، وجاءت ثانية في خطابين (امرأة عمران، وابنتها مريم) وما سوى ذلك جاءت فيه متأخرة، والميم صوت يشترك مع النون في جميع الصفات ففيهما من صفات القوة: الجهر، ومن صفات الضعف: الاستفال والانفتاح، والغنة، والتوسط بين الرخاوة والشدة، وهذا يشير إلى مناسبة هذين الصوتين لمواقف اللطف والرقة والنجوى والشكوى، وخطاب الأم وابنتها مما ينطبق عليه ذلك، لكن في الميم من الكتم والعمق ماليس في النون وذلك مايشعر به انطباق الشفتين عند النطق بها، لذا كانت نسبة حضورها في خطاب الأم ١٠٪ أكثر من ابنتها ٩٪ وذلك لعمق معاناة الأم، وطول مدتها، ولهذا السبب قل هذا الصوت في خطاب امرأة إبراهيم فلم يرد إلا مرة واحدة (عقيم)، وخطاب ابنتي الرجل الصالح فلم يرد إلا (٣) مرات، لأن خطاب امرأة إبراهيم اندفاعي مبني على المفاجأة، وقد اتسم بالإنكار والتعجب لا الابتهال والتضرع، وكانت تعمد فيه إلى إيصال سبب اعتراضها واندهاشها إلى المبشرين،

وهذا يعني الإيضاح لا الكتم والكظم، كما أن الموقف لايتطلب الرقة واللطف، لذا لا نجد حضوراً لا للنون (٢) ولا للميم (١) ولا للهاء (٢)، بل على العكس نجد شيوعا للعين فيه حتى بلغت (٥) (عجوز ٢، بعلي، عجيب، عقيم)، والعين رغم مخرجه الحلقي إلا أن صفاءه وجهوريته يجعله يتناسب مع الخطابات القوية المعلنة، يقول عنه حسن عباس"وهكذا لابد لصوته النقي الناصع أن يوحي بالفعالية والإشراق والظهور والسمو"(٤٧)، ولعلنا لانستغرب بعد هذا أن أكثر ورود هذا الصوت كان مع ذوات النفوذ والسلطة: الملكة، وامرأة العزيز، وامرأة فرعون.

وبهذا نكون قد بينا الدلالة الصوتية المتعلقة بالأصوات الأكثر حضورا وتكرارا، وبقي الآن أن نقف مع الأقل والأندر، ولعل ذلك يظهر من خلال هذا الإحصاء (انظر الجدول رقم ٢):

الجدول رقم (٢).

الخطاب النسائي خصوصاً				القرآن عموماً			
م	**الصوت**	**عدد مرات الورود**	**النسبة**	**م**	**الصوت**	**عدد مرات الورود**	**النسبة**
١	الثاء	١	١ ٪	١	الظاء	٨٥٣	٢,٦٪
٢	الضاد	٢	١,٧٪	٢	الغين	١٢٢١	٣,٧٪
٣	الطاء	٣	٢,٦٪	٣	الطاء	١٢٧٣	٣,٩٪
٤	الظاء	٣	٢,٦٪	٤	الثاء	١٤١٤	٤ ٪
٥	الغين	٧	٦ ٪	٥	الزاي	١٥٩٩	٤,٩٪
٦	الصاد	٨	٦,٨٪	٦	الضاد	١٦٨٦	٥ ٪
٧	الزاي	٨	٦,٨٪	٧	الصاد	٢٠٧١	٦ ٪

---

(٤٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها ٢١١.

ويتضح لنا من خلال هذا الجدول اتفاق الخطابين الخاص والعام في أقل الأصوات ورودا وهي : (الثاء)، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، الصاد، والزاي) وهذه هي الأصوات السبعة الأولى في الخطابين مع اختلاف في الترتيب، وهذا – أيضاً – يؤيد عدم اختصاص لغة المرأة في القرآن- على وجه العموم- بأصوات معينة لا قلة ولا كثرة، لا استعمالاً ولا تركاً، ونجد في الجدول تطابقاً في مرتبة الطاء، والصاد، في الخطابين بينما نجد تبايناً واضحاً في الباقي، فالظاء هو الصوت الأقل في القرآن بعمومه، وليس كذلك في الخطاب النسائي، مع أنهما يتفقان في النسبة ٢,٦٪، ونجد في المقابل أن الصوت الأكثر غياباً عن خطاب المرأة ولغتها هو (الثاء) بنسبة١٪، فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى على لسان امرأة عمران (إني وضعتها أنثى)، بينما نجده احتل مرتبة متأخرة إلى حد ما في قلة الورود في الخطاب القرآني عموماً (المرتبة الرابعة)، بنسبة٤٪ .

وقد يكون سبب هذه الزيادة في عموم القرآن دخول هذا الصوت في أدوات وكلمات يكثر تكرارها مثل : (ثم) تكررت حوالي (٣٥٠)مرة، و(كثر) حوالي(١٧٠)مرة، و(مثل) حوالي(١٥٠)مرة، و(حيث) حوالي(١٤٠)مرة، و(بعث) حوالي (٦٠)مرة، وبالنظر لهذه الكلمات نجد أن (ثم، وحيث) تمثل أدوات ربط تكثر بكثرة الكلام وتقل بقلته، والخطاب النسائي قليل جدا بالنسبة لعموم القرآن، وبقية المواد(كثر، بعث) تشعر بالتشعب والانتشار.

هذا من حيث الكثرة والقلة، أما من حيث مخرج هذا الصوت وصفاته، فنجد أن مخرجه من طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، فهو يتراجع عن الذال قليلا إلى داخل الفم قريبا من اللثة في حشمة أكثر(٤٨) وهو صوت ضعيف جداً فلا توجد فيه صفة قوة واحدة، بينما توجد فيه أربع صفات ضعف هي : (الهمس، والرخاوة، والاستفال،

---

(٤٨) انظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ٦٢.

والانفتاح) وقد يتبادر إلى الذهن أول الأمر أن مثل هذا الصوت بمثل هذه الصفات مع المخرج السهل أقرب إلى طبيعة المرأة ، بل قد صرح بهذا بعض الباحثين حيث يقول حسن عباس" : إن صوت (الثاء) هو أوحى مايكون بالأنوثة ، وصوت(الذال) هو أوحى مايكون بالذكورة"(٤٩) ، ويقول أيضا : " وكأني بالعربي لم يبدع صوت هذا الحرف إلا خصيصا للأنثى... فلفظة (الأنثى) إنما هي ألصق بالجنس من لفظ(المرأة)" (٥٠) ، ويربط هذا الصوت بالنون التي يرى أنها أنثوية أيضا ، وإن كانت الثاء هي الأقوى عنده في هذا الجانب فيقول : "لتستقل (الثاء) وحدها بعرش الأنوثة في لفظة الأنثى ، ضما للنون الأنيسة إلى الثاء الأنثوية"(٥١) ، ومع كل ما حكم به حسن عباس إلا أن ما جاء في النص المدروس الممثل لخطاب المرأة يوحي بغير ذلك ، وأن ضعف الصوت وهمسه ورقته ليس بالضرورة هو المناسب لطبيعة المرأة ، بل وحتى الكلمات القرآنية التي وردت فيها الثاء لا تمثل هذا الذي قال به الباحث ، وقد أوردنا أكثرها تكرارا في أول الفقرة ، وعلى هذا فيمكن القول إن مؤشر القلة والكثرة مرتبط بالموضوع أكثر من ارتباطه بجنس المتكلم ، وأننا إن أردنا القول بأنثوية بعض الأصوات ، فـ(النون) هي الأقرب إلى ذلك ، كما أشرنا إليه من قبل.

وبناء على ذلك نرى أن ما أشار إليه ابن جني حول دلالة (الثاء) في تحليله لكلمة(بحث) ، هو المدخل لتعليل القلة هنا ، فهو يقول : " فالباء لغلظها تُشبه بصوتها خَفقة الكفّ على الأرض ، والحاء لَصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثِن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفثِ والبث للتراب"(٥٢) ، وهذا يلتقي -إلى حد ما- مع معاني

---

(٤٩) خصائص الحروف العربية ومعانيها ٦٢.

(٥٠) خصائص الحروف العربية ومعانيها ٦٠.

(٥١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ٦٠.

(٥٢) الخصائص جزء ٢ / ١٦٣ .

ودلالات الألفاظ التي وردت فيها الثاء في القرآن كما أشرنا إليه سابقاً، كما يلتقي مع ماتوصل إليه حسن عباس نفسه من شيوع المصادر التي تدل على البعثرة والتشتت والتخليط(٥٣)، ولعل هذا التشتت وذلك التخليط وتلك البعثرة مما لايتناسب مع طبيعة الأنثى الرقيقة التي طبعت على التنظيم والترتيب، لذا ندر في خطابها هذا الصوت، وما أشار إليه الباحث، إنما هو من وصف غير الأنثى للأنثى، ومن ذلك كلمة(أنثى، رفث، حرث، طمث) وغير ذلك مما له علاقة بجنس الأنثى، فهذا كله من كلام غيرها عنها، وما نبحثه هنا هو خطابها هي، الذي يمكن أن يصور شخصيتها، لذا كان صوت(النون)أدل على ذلك من (الثاء) فيما أرى.

ويأتي بعد (الثاء) في القلة: الضاد، ثم الطاء، ثم الظاء، وإذا تأملنا هذه الأصوات الثلاثة وجدنا الآتي: مخرج الضاد من حافتي اللسان مع الأضراس العليا، وهو من أصعب الأصوات نطقاً، والطاء، والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، هذا من حيث المخرج، وأما من حيث الصفات فتشترك هذه الأصوات في صفات القوة: الجهر، والاستعلاء، والإطباق، وتنفرد هذه الثلاثة ومعها (الصاد) عن غيرها بصفة الإطباق الذي هو انحصار الصوت في أعلى الحنك(٥٤)، وقلة هذه الأصوات منسجم مع لطافة الخطاب وموضوعه، فليس في الخطاب النسائي موضوعات تستوجب هذه الأصوات القوية المجهدة.

وبناء على هذا فقد لا تكون لإحصاءات القلة والكثرة قيمة دلالية كبيرة، من إثبات اختصاص الخطاب النسائي بنوع معين منها، لأنها اتفقت- في مجموع الأصوات الأقل، والأكثر ورودا- مع ما في القرآن عموما، - باستثناء ما أشرنا إليه- وهو لايمثل

---

(٥٣) انظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها ٦١ وما بعدها.

(٥٤) التجويد الواضح : ٣٢٧ .

اطرادا يجعلنا نحكم باختصاص صوت ما، بهذا النوع من الخطاب، وتبقى هذه الإحصاءات مفيدة في الموازنات الخاصة بين الخطابات؛ - كما رأينا- لأن هناك تفاوتاً ملحوظاً بين تلك الخطابات في شيوع بعض الأصوات دون بعض حسب طبيعة الخطاب وسياقه وموضوعه.

المبحث الثاني: دلالة الحركات و المدود

نقصد بالحركات والمدود هنا : " الأصوات المجهورة التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف، ومعهما أحياناً، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضييق لمجرى الهواء "(٥٥)، وهي ما يعرف بـ (الصوائت)، وأما الحروف فتعرف بـ (الصوامت) (٥٦) .

والحديث هنا سيكون عن الحركات القصيرة (الفتحة، الكسرة، الضمة) والطويلة (الألف، والياء، والواو) المديات.

وقد تنبه القدماء إلى علاقة حروف المد بالحركات، يقول ابن جني: " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي: الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في

---

(٥٥) القيمة الوظيفية للصوائت ، دراسة لغوية ، د . ممدوح عبد الرحمن (دار المعرفة الجامعية مصر ، ط (بدون)) ص : ١٣ .

(٥٦) انظر : الدلالة الصوتية في اللغة، صالح سليم عبدالقادر، (جامعة سبها، ط بدون، ١٩٨٨م) ١٣١ . وعلم الأصوات، كمال بشر(دار غريب، القاهرة، ط بدون،) ص ١١.

ذلك على طريقة مستقيمة "(٥٧) .

وللحركات أثر – لا يمكن جحده – في المعنى ، بل قد تكون في هذا الجانب أوضح أثرا من صفات الحروف ومخارجها ، وقد بين القدماء ذلك ، ننتقي من عباراتهم مايدل عليه ، فالزجاجي (ت٣٤٠هـ)يقول : "وتكون الحركات دالة على المعاني"(٥٨) ، و ابن فارس (ت٣٩٠هـ) يقول عن الإعراب : " هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ "(٥٩) ، ويقول أيضا : "وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها ، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني "(٦٠) ، وللحركات دور فاعل في لطافة الكلمة ورشاقتها ، وبالتالي تداولها وانتشارها بل وقبولها ، ويشير ابن الاثير(ت٦٣٠ هـ) إلى هذا بقوله : " ومن أوصاف الكلمة أن تكون مبنية من حركات خفيفة ليخف النطق بها ... "(٦١) ، وهي تسهم في تشكيل المقاطع الصوتية التي يمكن الاستعانة بها في بيان بعض دلالات القول.

وبناء على ماسبق فقد أجريت بعض الإحصاءات التي أحاول من خلالها بيان أثر تلك الحركات في الدلالة. (انظر جدول رقم (٣)..

الدلالة الكمية

وبالإحصاء التقريبي للخطاب المدروس يتضح أن الفتحة وردت (٤٧٠) مرة

---

(٥٧) سر صناعة الإعراب ١ / ١٧

(٥٨) الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي ، تحقيق مازن مبارك ، (دار النفائس - بيروت ، ط (٥) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) ص : ٦٩ .

(٥٩) الصاحبي ، ابن فارس ، تحقيق : مصطفى الشويحي ، (المكتبة اللغوية العربية بيروت ، مؤسسة بدران ، بيروت ، ط (بدون) ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م) ، ص : ٧٧ .

(٦٠) الصاحبي : ١٦١ .

(٦١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تحقيق : د / أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة (دار الرفاعي – الرياض ، ط(٢)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م) : ١ / ٣٠٣ .

جدول رقم (٣).

الخطاب الحركة	امرأة عمران	مريم	امرأة العزيز	النسوة	ملكة سبا	امرأة إبراهيم	امرأة فرعون	أخت موسى	ابنتا الرجل الصالح	زوج النبي	أم موسى	المجموع
الفتحة	٤١	٥٥	١١٦	٤٣	٩١	٢٤	٤١	١٣	٣٩	٧	-	٤٧٠
الكسرة	٢٥	٢٣	٤١	٢١	٣٠	٥	٢٣	٣	١٤	-	٢	١٨٧
الضمة	١٠	١٦	٢٩	٨	٢٨	٨	٦	١٠	٨	-	١	١٢٤
الشدة	١٥	١٣	٢٩	٧	١٦	١	٨	١	٥	-	١	٩٦

والكسرة (١٨٧) مرة ، والضمة (١٢٤) مرة ، والسكون للباقي ، وهذا الشيوع المطلق للفتحة ، ثم تليها الكسرة ، ثم الضمة ، يؤيد القول بأن الضمة هي الأثقل ،(٦٢) وحتى يتضح لنا اتساق ذلك من عدمه أجرينا هذا الإحصاء التقريبي العام .

تبدو القراءة العامة لهذا الجدول متسقة مع المنهج العام في القرآن الكريم ، وتتفق مع ما أثبتته الدراسات التي تقول بشيوع الفتحة في الكلام العربي كتاب العربية الفصحى(نحو بناء لغوي جديد) ، هنري فلاش ، ترجمة ، د.عبدالصبور شاهين ، (بيروت ، ط بدون ، ١٩٦٦م) ص٣٦.وقد شمل النموذج القرآني المدروس عنده ٦٠٠ كلمة.(٦٣) ، لذا نستطيع القول بأنه ليس هناك أرقام ذات دلالة إحصائية خارجة عن المألوف ، إلا ما نلحظه من زيادة الضمة على الكسرة فيما يأتي :

- زيادة الضمة (٨) على الكسرة (٥) في خطاب امرأة إبراهيم .
- زيادة الضمة (١٠) على الكسرة (٣) في خطاب أخت موسى .
- الزيادة النسبية للضمة في خطاب امرأة العزيز (٢٩) في مقابل الكسرة (٤١) .
- الزيادة النسبية للضمة في خطاب ملكة سبأ (٢٨) حتى قربت من الكسرة (٣٠) .

وفي المقابل نجد نسبة حضور الكسرة في خطابات أظهر منه في غيرها ، حيث تجاوز نصف عدد الفتحات عند امرأة عمران ، وامرأة فرعون ، وقارب نصفها عند مريم ، والنسوة ، وقل عند البقية كثيرا.

وهذا يجعلنا نقول بأننا أمام نوعين من الخطاب ، الأول صاعد متجه للخارج ، وهو

---

(٦٢) انظر : المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر ، ٥٥.

(٦٣) كتاب العربية الفصحى(نحو بناء لغوي جديد) ، هنري فلاش ، ترجمة ، د.عبدالصبور شاهين ، (بيروت ، ط بدون ، ١٩٦٦م) ص ٣٦.وقد شمل النموذج القرآني المدروس عنده ٦٠٠ كلمة.

ماكثرت فيه الفتحة والضمة، ونازل داخلي وهو ماكثرت فيه الكسرة، وسنتحدث أولا عن الضمة ودلالاتها، لأن خروجها عن المألوف أظهر، ثم نثني بغيرها.

إن هذه الزيادة للضمة في بعض الخطابات وتناميها في خطابات أخرى موازنة بالمجموع العام الذي جاءت فيه الضمة (١٢٥) متأخرة عن الكسرة (١٨٦) بصورة واضحة، تجعلنا نتساءل عن سر ذلك؟

وللإجابة لابد أن نوازن بين وجود الياء المدية والواو المدية وبين وجود الضمة والكسرة، في الخطابات المذكورة، لأن الحركات أبعاض الحروف، وقد اتضح تباعد بينهما في خطاب امرأة العزيز، وقد يعود هذا إلى تنوع خطابها، كما أننا لا نجد تفوق الياء المدية (١٢) على الواو المدية (٨) كبيراً في خطاب ملكة سبأ، أما امرأة إبراهيم فهناك تقارب واضح بين الياء المدية (٣) والواو المدية (٢)، وأما خطاب أخت موسى فقد خلى من الياء المدية أصلاً، ووردت فيه الواو المدية مرة واحدة.

وهذا يوصلنا إلى نتيجة أن هناك تناسباً واضحاً بين وجود الواو المدية، والضمة، وبين الياء المدية والكسرة، في مجمل الخطابات المذكورة، مما يجعلنا ننظر في سر خروج هذه الخطابات عن المعهود في الخطاب النسائي خاصة، والقرآني عموماً.

لعل القاسم المشترك بين كل هذه الخطابات هو الاندفاع نحو الأمام للإقناع بفكرة لدى صاحبة الخطاب، وهذا يتناسب مع ماوصل إليه الأرسوزي في دلالة الضمة، حيث يقول: " وكذلك الضمة الحاصلة عن تدافع الهواء عند خروجه، تعبر عن الفعالية المتواصلة والدائمة"(٦٤)، وهي تدل على ذلك "أينما وجدت في صلب الكلمة، أو في

---

(٦٤) المؤلفات الكاملة، للأرسوزي، ١/ ١٢٦' نقلا عن: زكي الأرسوزي ودور اللسان في بناء الإنسان، خليل أحمد، (دار الشبيبة، مؤسسة الوحدة، ط بدون، ١٩٧٨م) ١٥٥.

آخرها"(٦٥)، وإذا ضممنا إلى ذلك مافي الواو(الضمة الطويلة)، من قوة هذه العالية، وما يشعر به نطقها من تقدم واندفاع، وذلك لمد الشفتين بها نحو الخارج، يقول حسن عباس"إن صوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم يوحي بالبعد إلى الأمام "(٦٦)، إذا علمنا ذلك كله أدركنا سر كثرة هذه الحركة في تلك الخطابات خصوصا؛ فأخت موسى عليه السلام تحاول بقوة وحرص إقناع آل فرعون بقدرتها على إيجاد من يكفل موسى عليه السلام، وهذه الفكرة هي أس كلامها وغايته، وامرأة إبراهيم عليه السلام تحاول إقناع المبشِّرين لها ولزوجها بالولد بأن هناك عوامل يستحيل معها ذلك، ويؤيد هذا صكها لوجهها، وذكرها لأسباب عدم الإنجاب فيها وفي زوجها، وملكة سبأ تحاول إقناع الملأ من قومها بأمر قد يرفضوه، وهو التفاوض وترك خيار الحرب، ولهذا شاعت ألفات المد في كلماتها وتكررت عندها (يا) المدية، لتوصل صوتها ورأيها إلى الملأ من قومها لتقنعهم بما تريد، وامرأة العزيز تحاول إقناع زوجها عند المواجهة لدى الباب بأن يوسف عليه السلام هو المخطئ، وأنه يستحق العقاب، وفي هذا الجزء من خطابها(خطاب المراوغة) نجد أن الضمة التي وردت (٥) مرات تقدمت بوضوح على الكسرة التي وردت (٣) مرات، أما الواو والياء المديتان فقد تساويتا مرة واحدة لكل منهما، كما أنها تحاول في خطابها الآخر(خطاب التبجح) في مجمع صويحباتها إقناعهن بما حصل منها بشأن قصة المراودة وتدافع عن نفسها، وهنا نجد تقارب الضمة التي وردت(٨) مرات، من الكسرة التي وردت(١١) مرة، في إشارة إلى رغبتها في إقناعهن مع اعترافها بالخضوع لسلطان شهوتها؛ لذا لم تكن الضمة هي المسيطرة بصورة تامة،

---

(٦٥) المؤلفات الكاملة، للأرسوزي، ١/ ٣٦٦’ نقلا عن: زكي الأرسوزي ودور اللسان في بناء الإنسان ١٥٤.

(٦٦) خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٩٧.

ولعل كلمة (ما آمُرُهُ) بما اشتملت عليه من توالي الضمات التي تجعل الصوت يخرج في دفقات مدوية متتالية تصور بدورها تلك الاندفاعات المتتالية منها لتطويع يوسف عليه السلام لرغباتها، كما تصور زفرات قلبها اللاهث وراء الشهوة، فكانت هذه الكلمة مجسدة لتسلطها وعرضها لقوتها أمام صويحباتها، على ما عرفناه من قوة الضمة وثقلها .

وهكذا رسمت الضمة مع الواو حالة مَن حمل فكرة واهتم بها وأراد إقناع الآخرين بها، وبهذا نستطيع القول: إذا كان الاتجاه في الكسرة والياء نحو الذات والداخل، والفتحة والألف نحو العلو والخارج، فإن الضمة والواو توحي بالاتجاه نحو الأمام.

ومما يؤيد هذه النتيجة ما كان من امرأة فرعون حين حاولت إقناع فرعون ومن معه بعدم قتل موسى عليه السلام، ففي هذا الجزء من خطابها تجمعت كل الضمات الست الواردة في خطابها كله ولم تصاحبها إلا كسرتان فقط، ولما ناجت ربها وابتهلت إليه تكثفت الكسرات التي بلغت (١٩) ولم ترد ضمة واحدة، ولم ترد واو مدية واحدة فما أعجب هذا التناسب، وكذلك بالنسبة لخطاب امرأة عمران فلم ترد فيه إلا (١٠)ضمات كلها خارج البنية الداخلية للكلمة بمعنى أنها جاءت في نهاية الكلمة، وهي على هذا علامة إعرابية، ومع القول بتأثير العلامة الإعرابية في المعنى، إلا أنها ليست بقدر التأثير الذي تحدثه الحركة في عمق بنية الكلمة، ذلك لأن العلامة الإعرابية قد تتغير، وقد تذهب بالوقف.

وقد قدمت الحديث عن الضمة رغم قلتها، لوضوح مخالفة المعهود فيها، ولارتباط الحديث عنها بالكسرة، أما بالنسبة للفتحة فهي جارية على النسق المألوف وهو الشيوع والكثرة ؛ لذا لا داعي للتطويل فيها، والقول بمناسبتها لخطابات الابتهالات والنجوي أمر واضح لما فيه من التوجه نحو الأعلى، ومد الصوت، لكن ما يمكن الوقوف

عنده ما يلحظ في خطاب امرأة عمران- وهو خطاب نجوى وابتهال- من القلة النسبية في شيوع الفتحة ، كما هو الشأن السائد الذي تصل فيه زيادة الفتحة على مجموع الكسرة والضمة بما يزيد على الضعف ، ، وهنا نجد أن مجموع كل من الضمة(١٠) والكسرة(٢٥) في خطابها قد بلغ (٣٥) ، وهذا يقترب كثيراً من عدد ورود الفتحة (٤١) ، واللافت للنظر بصورة أوضح هو كثرة حضور الكسرة بهذا الكم الذي لم يرد له مثيل في الخطابات الأخرى كلها رغم طول بعضها الواضح.

ولعل هذا ما يؤيد ما أشرنا إليه أكثر من مرة من عمق معاناة امرأة عمران في نيتها وتفكيرها أولاً ، ثم في حملها الأشهر الطويلة ، ثم في وضعها ومجيء الأمر على خلاف ما أملت ، وهذه المعاناة بهذا العمق لا نكاد نجد لها مثيلاً في كل الخطابات ؛ لذا لم يكن الاتجاه في خطابها لنقل معاناة خارجية ، بل لتصوير معاناة داخلية ، لذا لم تكن الفتحة ولا حتى الألف بالكثرة المعهودة ، (٨) في مقابل (١١)للياء المدية ، فكان المجال في هذا الخطاب هو التوجه نحو الداخل وتصوير عمق المعاناة ، لذا كانت الكسرة هي الأكثر على الإطلاق بالنسبة لمجمل الخطابات ، وهذا يتناسب تماماً مع كثرة الياء المدية (١١) التي فاقت الألف (٨) والتي لم توجد معها واو مدية أصلاً ، مما يجعل الياء المدية والكسرة تتآزران لتصوير عمق تلك المعاناة ، وهذا يتفق إلى حد كبير مع مايراه الأرسوزي بشأن دلالة الكسرة حيث يقول : " والكسرة الحاصلة عن صدور الصوت ، بكسر الشفتين ورجعتهما تعبر ...عن النسبة ، أو عودة الحالة إلى الذات"(٦٧).

ولعل ما قدمنا يشير إلى عدم رغبة امرأة عمران بإعلان ما هي فيه ، لذا كان حذف

---

(٦٧) المؤلفات الكاملة ، للأرسوزي ، ١/ ١٢٦' نقلا عن : زكي الأرسوزي ودور اللسان في بناء الإنسان ١٥٥.

ياء النداء في (رب) مناسبا هنا زيادة على مافيه من دلالة القرب(٦٨)، ولما كان الإخلاص هو مبدؤها في نذرها بدلالة كلمة(محررا) أي مخلصا، لأن "المراد بالمحرر هنا الخالص لله سبحانه الذي لا يشوبه شيء من أمر الدنيا"(٦٩).

ولما كان ذلك كذلك وجدنا أن المقاطع المفتوحة بالألف في هذا القسم من خطابها قليلة جدا، اثنان فقط(ما، محررا)، ومع هذه القلة، فقد صور هذا المد جزءا مهما من دلالة الخطاب، ففي هذه الألف في (ما) الموصولة من دلالة الشمول المقصودة هنا، ماليس في (مَن)الموصولة الخالية من المد، و لهذا قالوا إن " (ما) اسم مبهم في غاية الإبهام حتى أنها تقع على كل شيء وتقع على ما ليس بشيء...ولذلك كان في لفظها ألف آخره، لما في الألف من المد والاتساع في هواء الفم مشاكلة لاتساع معناها في الأجناس فإذا أوقعوها على نوع بعينه وخصوا به من يعقل وقصروها عليه أبدلوا الألف نونا ساكنة[أي

---

(٦٨) حذف (يا) مع (رب) هو السائد في القرآن، فلم ترد(يا) مذكورة إلا في موضعين من القرآن، هما: . قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ الفرقان٣٠، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ الزخرف٨٨، ولمعرفة سر ذلك يراجع: من بلاغة القرآن، الدكتور: أحمد أحمد بدوي، ط(٢) (الفجالة، مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٠هـ) ص١٦٩، ١٦٨، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، للدكتور: عبد العظيم المطعني، ط(١)، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ٨/٢.، و البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط(١)، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ٢٤٢/١، ومن أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن)، للدكتور: عبد الفتاح لاشين، ط(١)، (جدة، شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص١٧٨، ١٧٧.

(٦٩) فتح القدير [جزء ١ - صفحة ٥٠٤].

صارت مَن]، فذهب امتداد الصوت فصار قصر اللفظ موازنا لقصر المعنى"(٧٠)، والمد أدل على شدة تجردها في نذرها، لذا جاء الإطلاق في (محررا) ليصور سعة هذا التحرر من رق المخلوقات، وخلوصه لله وحده.

والألفات الستة الباقية كانت في المقطع الثاني من خطابها الذي تكثفت فيه الشكوى والحسرة، وحتى هذه الستة تعد قليلة بالموازنة بالخطابات الأخرى المشابهة في النجوى، وهذا يشير إلى عدم الرغبة في إظهار ذلك لغير الله سبحانه، لذا جاءت هذا المقاطع المفتوحة الصاعدة القليلة على صورة تشكل عمق المعاناة وبثها لله وحده، وذلك بسبق الهاء الضعيفة للألف المدية، (وضعتها، سميتها، أعيذها، وذريتها)، وهذا يعني أنه رفع للصوت وامتداد له لكن بخفوت وضعف؛ وذلك لأن الهاء صوت يخلو من صفات القوة تماماً، فهي حرف ضعيف يصور الضعف والليونة واللطف، كما أن مخرجه من أقصى الحلق يرسم عمق الزفرات التي كانت تعيشها أم مريم لا اعتراضاً على القضاء، ولكن على أنها كانت تأمل في نذرها ما هو أفضل في ظنها، وهذه الهاءات لم ترد في المقطع الأول الذي كانت تأمل فيه الذَّكَر، وإنما تكثفت في المقطع الثاني بعد مجيء المولود أنثى على غير ماتريد وتأمل، للعلة التي أوردناها من قبل.

وهذا يختلف عن تلك الياءات المشددة التي صورت دوياً واضحاً في خطاب ابنتها مريم عليها السلام الصاعد، بدليل كون الألفات في خطابها قد قارب ضعفها عند أمها، وأما في حديثها وهي في حالة الرخاء والقوة، فلم يشتمل على ياء مدية أبداً (قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)؛ لأنه موقف لإظهار المنة لا إخفاؤها.

ويقرب من خطاب امرأة عمران في كثرة الكسرة، ماجاء في خطاب امرأة فرعون في مناجاتها ربها، حيث ورد الكسر فيه (٢٠) مرة، ولم ترد في خطابها لفرعون ومن معه

---

(٧٠) بدائع الفوائد ١ / ١٣٨ .

إلا (٣) مرات فقط لأنه ليس خطاب انكسار، بل محاجة ورغبة وقوة.

ولهذا نجد أن الألف زادت في خطابها المحاجة والطلب (٢١) رغم قصره، على خطاب الابتهال والتضرع لربها (٢٠) رغم طوله.

وهذا – في نظري – يؤكد علاقة الحركات والمدود بالمعاني بصورة يصعب إغفالها، وربما تكون أوضح من دلالة المخارج والصفات أحيانا، بل هي كذلك في نظري.

بعد هذا الاستعراض العام للحركات ودلالاتها الكمية، لابد لنا من بيان أثر الشدة في الدلالة، وقد حصرت الحديث في النون، وسبب ذلك أني وجدت النون أكثر الحروف تعرضا للتشديد، وأكثرها شيوعا، وأيضا لضعفها وغنتها، ولقول بعث الباحثين بمناسبتها للغة المرأة(٧١)، كما سبقت الإشارة إليه.

وقد لحظت من خلال التأمل والإحصاء لحركة النون في الخطاب النسائي ما يأتي:

أنها وردت فيما يقارب ١١٧ موضعا، توزعت حسب الآتي:

- في (٦٠) موضعاً جاءت مفتوحة +(١)تنوين فتح، وكان المجموع= ٦١.
- في (٢٣) موضعاً جاءت مكسورة + (٢) تنوين كسر، وكان المجموع= ٢٥.
- في (٣) مواضع جاءت مضمومة (كلها غير مشددة)المجموع = ٣.
- في (٢٨) موضعاً جاءت ساكنة، المجموع = ٢٨.

ومن حيث التشديد وعدمه وهو مايهمنا هنا فقد ظهر لي الآتي:

- في (٣٢) موضعاً جاءت مشددة.
- في (٨٢) موضعاً جاءت غير مشددة.

وبهذا تكون النون هي الصوت الأكثر تعرضا للتشديد، بحيث لايقاربها في ذلك

---

(٧١) انظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٦٥.

صوت آخر، وهي بهذا تشكل ثلث مواضع الشدات في الخطاب النسائي كله التي قاربت المائة، وقد كان جل ورودها ضمن كلمة(إنّ، أنّ)، حيث لم ترد مع غيرها إلا في (١٠) مواضع.

وإنما ذكرت هذا الإحصاء لأنه اتضح لي أن الخطاب الذي فيه انكسار شديد وضعف، تظهر فيه النون مشددة مكسورة، بخلاف غيره، وبالتتبع لا نجد خطاباً شكلت فيه النون المشددة نصف عدد ورودها إلا في خطاب امرأة عمران (٦) من أصل (١٢)، وجاءت هذه النونات المشددة كلها مكسورة إلا واحدة، وهذا ما لا يوجد له نظير في الخطابات الأخرى فجلها جاءت مفتوحة، ولا يوجد في الخطاب النسائي كله نون مشددة مضمومة، ولعل سر ذلك هو ثقل الضم مع ثقل التشديد مع صوت (النون) الذي الأصل فيه أنه يمثل الرقة والليونة والضعف والانكسار.

ولعل في هذا الظهور والحضور للنون المشددة المكسورة في مناجاة امرأة عمران ما يصور صدقها في نيتها ونذرها، وما يصور حزنها العميق أيضا؛ لأن ما حصل لها جاء على غير ما أملت، ويؤيد هذا أن جل الكلمات التي وردت فيها تلك النون تشعر بالذاتية(**إني**) ٤ مرات، (**مني**) **مرة واحدة، ولم يخرج عن هذا** إلا موضع واحد هو قولها: (إنك أنت السميع العليم).

ونستطيع القول بعد هذا إن الحركة لها أثر كبير في شأن الدلالة، فما ذكرناه مع تصوير الحزن والشكوى العميقة الصادقة في خطاب امرأة عمران، لا نجده في خطاب امرأة العزيز الذي تكررت فيه النون (٣١) مرة كان المشدد منها (١٠) وهو بلا شك أقل من نسبة ورودها في خطاب امرأة عمران، لكن اللافت للنظر هنا هو كون كل هذه النونات مفتوحة باستثناء واحدة في قولها: (أني لم أخنه)، وقد جاء في خطاب التوبة، فعلمنا من هذا أن دلالة التشديد عند امرأة العزيز صاعدة متسعة، وعند امرأة عمران

نازلة عميقة ، وهذا ما نجده أيضاً في الخطابات الأخرى فقد كانت كلها أو جلها مفتوحة ، حتى عند (مريم) عليها السلام ، التي يقترب خطابها من أمها حيث نجد النون المشددة عندها قد وردت (٤) مرات ثلاثة منها مفتوحة ؛ وذلك لأن خطابها كان وليد اللحظة ، فليس هو بسبب تراكمات قديمة ، أو تفكير عميق سابق ، كما أن مبنى كلامها كان على رفع الصوت وصعوده ، ويؤيد ذلك شيوع الألف المدية التي كانت الأكثر (١٤) بينما أمها كانت الياء المدية هي الأكثر(١١) ، بهذا ندرك أن نبرة خطاب الأم كانت عميقة نازلة ، ونبرة خطاب البنت كانت فجائية صاعدة.

ويظهر لي أن التشديد يشعر بالتأكيد ، وذلك من خلال الجهد المبذول في نطق الحرف المشدد ومن خلال تكرر الحرف ، ولهذا نجد أن النون تكون دالة على التوكيد إذا كانت مشددة ، (إنّ ، أنّ ، نون التوكيد الثقيلة) ، وقد ظهر هذا التأكيد جليا عند امرأة عمران لتصوير صدقها وعمقه ، فقد تكررت(إنّ) في قولها : (إني) أربع مرات ، وقد كانت النون- عموما- من أكثر الحروف تعرضاً للشدة ، فالمشدد منها (٣٢) وغير المشدد (٨٣) ، وكان الخطاب الأكثر حضوراً للشدة هو خطاب امرأة عمران (٦) من (١٢) .

ونجد هذه العناية بالتأكيد ظاهرة في خطاب الملكة حيث جاءت النون مشددة في (٦)مواضع من أصل (١٧) ، كلها كانت مع (إنّ) ، مما يدلل على عنايتها بكلامها ، وهذا يتناسب مع الموقف وخطورته.

بينما نجد خطاب امرأة فرعون في خطاب الرغبة :(هيت لك) ، والمراوغة : (ما جزاء من ...) قد خلا من التشديد تماما ، وتركز التشديد في خطابي التبجح : (أخرج عليهن...) ، وخطاب التوبة : (الآن حصحص الحق) ، لكن كان التشديد فيهما بالفتح إلا في موضع واحد في خطاب التوبة(أني لم أخنه) ، وقد بينا مدلول ذلك ، ولكن ما نريد

قوله هنا أن خطاب امرأة عمران كان كله مبني على التوكيد، لذا شاعت فيه النون المشددة وخصوصا في (إن)، بينما خطاب امرأة فرعون لم يكن كذلك في كل مستوياته، فلم يظهر التوكيد عندها إلا في خطابي التبجح والتوبة، وذلك لتأكيد مسلكها الذي سلكته أمام صويحباتها في الأول، ولتأكيد صدقها في الثاني.

ومن خلال النظر في هذه الخطابات الثلاثة نجد أنها شكلت (٢٢) موضعا لورود النون المشددة من أصل(٣٢) في الخطاب النسائي كله، وهذا يعني أن سمة التأكيد بـ(بأنّ) على وجه الخصوص كانت فيها أظهر وأوضح، وهذا يؤكد من جهة أخرى علاقة التأكيد بالتشديد.

المقاطع الصوتية(٧٢)

لحظت من خلال تحليل الخطاب النسائي إلى مقاطع صوتية(٧٣)، أن هناك بعض التفاوت في كثافة المقاطع الصوتية المفتوحة والمقفلة، ولعل ذلك يتضح من خلال عرض هذه النتائج التقريبية انظر جدول رقم (٤):

---

(٧٢) اعتنت الدراسات الحديثة بما يعرف بالمقطع، وأكثرت من تعريفاته وحدوده حتى وصل به الأمر إلى حد الغموض (انظر: من وظائف الصوت اللغوي، ٢١).، يقول عبد الصبور شاهين عن المقطع في(المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، (مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط (بدون)، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠) ص: ٣٨).: " هو مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ويعتمد على الإيقاع التنفسي "(٧٢)، وهذا تعريف فيه شمولية ووضوح إلى حد ما، والمقاطع الصوتية نوعان، مقفلة وهي التي تنتهي بساكن، ومفتوحة أو ممدودة وهي التي تنتهي بحركة قصيرة أو طويلة. انظر: (أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال (مكتبة وهبه ـ القاهرة، ط (٣) ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ص: ٢٠٢، وانظر التناسب البياني في القرآن: ٣١٢.)

(٧٣) راعيت في ذلك الموقف فيما يحسن عليه الوقف، ورؤوس الآي.

الجدول رقم (٤).

الخطاب	نوع المقطع				
	مجموع المقاطع	المفتوحة	نسبتها	المقفلة	نسبتها
امرأة عمران	٧٤	٤٧	٦٤٪	٢٧	٣٦٪
مريم	١٠٠	٦٨	٦٨٪	٣٢	٣٢٪
امرأة فرعون	٦٥	٣٩	٦٠٪	٢٦	٤٠٪
النسوة	٣٧	٢٩	٧٨٪	٨	٢٢٪
ملكة بلقيس	١٤١	٩٢	٦٥٪	٤٩	٣٥٪
امرأة العزيز	١٧٧	١١٢	٦٣٪	٦٥	٣٧٪
امرأة إبراهيم	٣٥	٢٩	٨٥٪	٥	١٥٪
أخت موسى	٢٥	١٦	٦٤٪	٩	٣٦٪
ابنتا الرجل الصالح	٥٧	٣٧	٦٥٪	٢٠	٣٥٪
زوج النبي ρ	٧	٥	٧١٪	٢	٢٩٪
أم موسى	٢	لا يوجد	٠٪	٢	١٠٠٪

والملحوظ من هذه النتائج أن الشيوع كان للمقاطع المفتوحة- وهو الأمر المألوف- ولا يوجد خروج عن هذا إلا في خطاب أم موسى لأنه يتكون من كلمة واحدة (قصيه) فبالوقف عليها وهو ما يقتضيه المعنى لأنه نهاية كلامها، تتكون الكلمة من مقطعين مقفلين قصْ (ص ح ص)، صيهْ (ص ح ح ص).

وهذان المقطعان المقفلان المتوسط منهما والطويل يصوران قوة هذه الكلمة وصرامتها ، كيف لا وقد صدرت من أم موسى لحظة خوفها على موسى عليه السلام ، الذي أخذته الأمواج فأمرت أخته بقولها (قصيه) ، أي " هل تسمعين له ذكراً ، أحي ابني أم قد أكلته دواب البحر ... "(٧٤) .

ولعل في طول المقطع الثاني أو قفله بحيث ينتهي النفس معه ما يصور حالة أم موسى وخوفها على ابنها ؛ لأن الظاهر أن هذا القول ، قد وقع منها بعد أن أصبح فؤادها فارغاً(٧٥) ، كما أنه يصور ضيق الوقت مع خطورة الأمر وحساسيته ، فلا مجال للإطلاق ومد الصوت ، بل الموقف يقتضي الاقتضاب وخفض الصوت وهذا ما أداه المقطعان المقفلان هنا ، وفي ختم المقطع الطويل الحاسم بالهاء مايصور الحالة التي كانت عليها أم موسى عليه السلام ، فكأنها تنفيس لما في صدرها وفؤادها الذي أصبح فارغا ، يقول أحمد أبو زيد بشأن المقاطع المقفلة : "استخدم القرآن المقاطع المقفلة التي تنتهي بالسكون الحي الجازم في مقامات الجد والصرامة والحسم ، وفي تصوير الانفعالات الحادة والحركات العنيفة ، وسرعة الأحداث "(٧٦) .

أما بالنسبة للمقاطع المقفلة الأخرى فيتضح لنا من الجدول السابق أن جل المقاطع المقفلة كان يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ ٪ من مجموع المقاطع لكل خطاب ، وليس لدي الآن دليل على اتساق هذه النسبة مع الخطابات الأخرى أو النمط السائد في القرآن

---

(٧٤) تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، تحقيق : د.عبدالله التركي(دار هجر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م) ١٨/ ١٧٤ .

(٧٥) انظر روح المعاني : ٢٠ / ٥٠ .

(٧٦) التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي) ، أحمد أبو زيد(كلية الآداب في الرباط ، ط بدون ، ١٩٩٢م)٣٢١ .

عموماً ، وإن كان بعض الباحثين نص على ميل اللغة العربية إلى المقاطع المقفلة دون تعليل لهذا الأمر ، يقول الدكتور محمد نحلة : " اللغة العربية – كغيرها من اللغات – تتركب فيها الكلمات من مقاطع ، وإن كانت أميل إلى المقاطع المقفلة ، ويقل فيها توالي المقاطع المفتوحة ، وبخاصة حين تشتمل على صوائت قصيرة "(٧٧).

وما يمكن أن نقوله هنا أن أكثر المقاطع المقفلة حضوراً ما ورد في خطاب امرأة فرعون حيث بلغت نسبتها ٤٠٪ من مقاطع خطابها ، والمتأمل لخطابها يجده على قسمين الأول تطلب فيه عدم قتل موسى ، وتحاول إقناعهم بالعدول عن ذلك ، والثاني تطلب فيه من ربها أن ينقلها إلى عالم النعيم ويخلصها من فرعون وظلمه ، وما يلحظ في خطابها- عموما- هو اهتمامها الكبير بموضوعها والمسارعة في تلبية ما تطلب ، فكلا الخطابين طلب ، وعامل السرعة مهم فيه ، وما يناسب ذلك هو المقاطع المقفلة لأنها لا تستغرق زمناً طويلاً في نطقها كما أنها تشعر بالجدية في الطلب والإصرار عليه ، يقول الدكتور محمد نحلة : " فالمقاطع المقفلة تستغرق في نطقها زمناً أقل من الزمن الذي تستغرقه المقاطع المفتوحة ، ومن هنا كان استخدام المقاطع المقفلة يناسب لوناً من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة والعكس صحيح "(٧٨).

وهذا يتسق ويتناسب مع ما ذكرناه من قبل من شيوع الضمة في هذا الخطاب الذي يشعر بالاندفاع نحو الأمام وهو صورة من صور التسارع والطلب.

وربما نلمس معاني السرعة والصرامة والقوة وغيرها في كلمات برزت فيها المقاطع المقفلة بوضوح ، في خطابات أخرى مثل قول امرأة العزيز : (فاستعصم) ، فهذا وصف

---

(٧٧) دراسات قرآنية في جزء عم ، د. محمود نحلة ، (دار العلوم العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩مم) ١٦٩ .

(٧٨) دراسات قرآنية ، د . نحله : ١٧١ .

امرأة العزيز لشدة وصلابة يوسف عليه السلام أمام إغراءاتها، وهي صيغة تصور بكل مقاطعها الحسم والصرامة والقوة التي شهدت له بها أمام صويحباتها: (فَسْ- تعْ- صمْ) كلها مقاطع مقفلة لامجال معها لمساومة أو مهادنة، ومادة الفعل (عصم) في أصلها تدل على القوة، يقول ابن فارس (ت٣٩٠هـ): "والعين والصاد الميم أصل واحد يدل على إمساك ومنع وملازمة"(٧٩)، ويقول الفيروزآبادي "عَصَمَ يَعْصِمُ: اكتَسَبَ ومَنَعَ وَوَقَى"(٨٠) ومن الصيغ ذات المقاطع المعبرة كلمة (يفعل) في قولها: (ولئن لم يفعل) فهي مكونة من مقطعين مقفلين(يفْ- علْ) وهما مقطعان شكّلا صيغة مليئة بالدلالة، اختصرت فيها امرأة العزيز كل ما أرادت، ولم يبق بعد هذا إلا أن تصرح تصريحا فجا لايحتمله المقام، لقد حسمت بهذه الكلمة كل مراوغاتها وبهرجتها لنفسها لتظهر على حقيقتها بكل وضوح.

وأما قولها (حصحص الحق) فنجد فيها مقطعين مقفلين (حصْ، حصْ)عند الوقف، وهي كلمة تصور كيف أن الحق تجمع من متفرقات ثم ظهر في صورة متكاملة، وهي كلمة تصور بمقاطعها وضوح هذا الحق وقوته لتآزره مع بعضه وأن بعضه يشد بعضاً.

ولو نظرنا في المقابل إلى الخطابات التي قلت فيها المقاطع المقفلة مثل خطاب امرأة إبراهيم عليه السلام الذي وردت فيه المقاطع المقفلة بنسبة ١٥٪ وهي الأقل على الإطلاق (٥) مقابل (٢٩) للمفتوحة بنسبة ٨٥٪، لوجدنا أن هذا الخطاب هو الوحيد الذي ظهر فيه عنصر المفاجأة بصورة واضحة، فالبشارة بالولد كانت خبراً غير متوقع، كما أنه خبر

---

(٧٩) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، (مكتبة الخانجي مصر، ط ٣، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م) مادة عصم.

(٨٠) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (دار الجيل، بيروت، ط بدون،) مادة عصم.

مؤثر جداً ، يصور ذلك كلمات مثل (ضحكت -صكت وجهها - يا ويلتي) فكان الموقف يستوجب إيضاحاً وشرحاً ، وكانت المقاطع المفتوحة هي التي تساعد على رفع الصوت ومده ليصل ما تريد من معلومات ظنت أن المبشِّرين لا يعلمونها (الشيخوخة ، الكبر، العقم)، وما جاء من مقاطع مقفلة كانت متباعدة ، مما ساعد على تقسيم المقاطع المفتوحة إلى مجموعات صوتية مصورة لرغبتها في إيضاح ما لديها ، وكأنها تنطلق ثم تقف ثم تنطلق وهكذا مما يصور حال الإنسان لحظة الدهشة والمفاجأة فهو يتكلم ويسكت ويمد صوته ويخفضه ، وهذا يتناسب مع ما سبق ذكره من دلالة الضمة وكثرتها في خطابها (٨) في مقابل الكسرة (٥)، والأمر هنا واضح فالمقاطع المفتوحة بالضمة بلغت خمسة ، إضافة إلى اثنين بالواو ، بينما لم ترد بالكسرة إلا مرة واحدة ، وكذلك الياء ، مما يؤيد القول بأن خطابها اندفاعي صاعد ناسب معه المقاطع المفتوحة بالفتحة والألف بصورة أوضح ، ثم بالضمة والواو وليس فيه انكسار لأنه ليس خطاب نجوى أو شكوى .

وقد يؤيد هذا ما نراه في خطاب النسوة من قلة المقاطع المقفلة التي بلغت نسبتها ٢٢٪ فقط ، فكانت (٨) في مقابل (٢٩) للمفتوحة ، وخطاب النسوة ليس فيه المفاجأة التي في خطاب امرأة إبراهيم لكنه يحمل بعض سمات الاستغراب والدهشة من عمل امرأة العزيز المشين ، وأما المفاجأة بصورتها الأوضح فقط ظهرت في رؤيتهن ليوسف عليه السلام.

المبحث الثالث: دلالة الفاصلة.

نظرا لما في الفاصلة من الاستقلال لكونها تأتي في ختام الآية القرآنية ، ولأجل ما أظهره السابقون واللاحقون من عناية بها ، أفردت لها مبحثا خاصا ، وركزت فيه على حرف الروي ، والمد المصاحب له ، ووزن كلمة الفاصلة ، والمعني الذي تؤديه.

والفاصلة هي آخر كلمة في الآية ، وقيل بل هي : "الجزء الأخير الذي تذيل به الآية ، ويكون أفضل نهاية مناسبة متمكنة لها"(٨١) ، وبالتأكيد هي ليست آخر كلمة في الجملة في أي موضع كانت ، لأن المعول عليه هو الآية(٨٢) ، وليس شرطاً أن تتفق الفواصل في حرف معين ، بل لكل موضع سره وبلاغته(٨٣) .

ومن خلال النظر في موضوع الفاصلة القرآنية نجد فيها ثلاثة مظاهر صوتية هي :

١- حرف الروي ٢- المد المصاحب له ٣- وزن كلمة الفاصلة

وحتى يتم الربط بين الجانب الصوتي ، والجانب المعنوي فلابد من العناية بالكلمات التي ختمت بها الآيات وما تحمل من مضامين معنوية وخواص صوتية ، ذلك لأنها تجمع بين الوظيفتين المعنوية والإيقاعية(٨٤) ، لذا لابد أن تدرس هذه الظواهر في ضوء المعنى السياقي العام ، والمعنى المعجمي الخاص بكلمة الفاصلة.

ولا شك أن هذا التنوع في المظاهر الصوتية يدل على حجم تأثير الفاصلة في المعنى ، خصوصا أن الكلام يقف عندها مما يعطيها مزيد اهتمام من جهة ، وقوة تأثير من جهة أخرى ، لذا نستطيع القول بأن " قيمة الفاصلة في بلاغة النظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء "(٨٥).

---

(٨١) قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن ، د. نعيم اليافي ، (مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، عدد ١٥ ، ١٩٨٤م) ، ص١٤٦

(٨٢) انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار المعرفة - بيروت ، ط بدون ، ١٣٩١م)١ / ٥٣ .

(٨٣) انظر : الصوت اللغوي في القرآن ، د. محمد حسين الصغير (دار المؤرخ العربي بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، - ٢٠٠١م) ١٤٤ .

(٨٤) التناسب البياني : ٣٥٦ .

(٨٥) التناسب البياني : ٣٥٢ .

أولاً: حرف الروي

يشكل حرف الروي الذي تختم به كلمة الفاصلة، ما يعرف بالتوافق الصوتي، وينظر له من حيث تكرره، أو تنوعه، وقد اتضح لي أن عدد فواصل الخطاب النسائي بلغت (٢٤) فاصلة، وأنها حصرت في الحروف الآتية (النون، الميم، الياء، الباء، الراء)، وبلغت فواصل القرآن عموما (٦٢٤٧)[٨٦]، وبيان ذلك على النحو الآتي انظر جدل رقم (٥):

الجدول رقم (٥).

حرف الروي	في الخطاب النسائي		في الخطاب القرآني عموما	
	التكرار	النسبة التقريبية	التكرار	النسبة التقريبية
النون	١١	٤٦٪	٣١٨٢	٥١٪
الميم	٧	٢٩٪	٧٧٥	١٢٪
الياء	٣	١٣٪	٨٧	١ ٪
الباء	٢	٨ ٪	٢٣٩	٤ ٪
الراء	١	٤ ٪	٦٩٠	١١٪

وكما نرى فقد كانت النون هي الصوت الأكثر وروداً، وهذا متوافق تماما مع عموم فواصل القرآن، ويعلل الزركشي (ت٧٩٤هـ) ذلك – بالتطريب-[٨٧]، وأما الرافعي (ت١٩٣٧ م) فعلل كثرة انتهاء فواصل القرآن بالنون أو الميم، بأنهما المناسبان للإيقاع والمد[٨٨]، ويظهر من خلال الجدول السابق زيادة نسبة الميم والياء في الخطاب

---

[٨٦] الفواصل القرآنية، دراسة بلاغية، د. السيد خضر، (مكتبة الإيمان، المنصورة، ط (١)، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).

[٨٧] البرهان في علوم القرآن ١/٦٨.

[٨٨] انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي(دار الكتاب العربي، بيروت،) ٢١٦.

النسائي عنهما في القرآن عموما بما يزيد على عشرة أضعاف، وفي المقابل نجد تراجعا في ورود الراء عنها في القرآن عموما فقد جاءت فيه في المرتبة الثالثة بعد النون والميم، بينما تأخرت في الخطاب النسائي إلى المرتبة الخامسة.

فأما شيوع الميم بنسبة أكثر مما ورد في القرآن، فقد يعود هذا إلى ما في الميم من إطباق للشفتين، مما يصور الكتم والجمع، وخصوصا في نهايات الكلام، وهذا يتناسب مع كثير من شؤون المرأة، فهي تميل إلى الجمع والتملك، كما أنها أكثر ميلا من الرجل لكتمان كثير من أمرها، وذلك لأن جل شأنها محلة الستر والخفاء، إضافة أن كثيراً من الخطابات الواردة كان في جانب المناجاة أو المحاورة، والمرأة في كل هذا ضعيفة منكسرة، وإذا ضممنا إلى ذلك دلالة الياء المدية التي سبقت الميم في كل مواضعها، أشعر ذلك – مع ماسبق - بالذاتية والانكفاء على النفس، فخطاب امرأة عمران مبناه على الصدق والمعاناة والإخلاص، لذا جاءت الفاصلة فيه (ميماً) ولم ترد غيرها، وكذلك خطاب التوبة عند امرأة العزيز (إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)، وكذلك في اعتراف النسوة بقدر يوسف عليه السلام، وانكسار غطرستهن وضعف شأنهن عند رؤيتهن له: (ما هذا بشراً، إن هذا إلا ملك كريم)، وهذه كلها مواطن فيها انكسار وضعف ورجوع إلى الذات، أسهمت الميم والياء المدية في رسم صورتها.

ثانيا: المد المصاحب للروي

توصل الباحثون بالاستقراء قديماً وحديثاً إلى أثر حروف المد في الفاصلة القرآنية، ولعل ابن جني من أوائل مَن تنبه إلى هذا الأثر، في تفسيره كثرة مجيء المدود في طرف الكلمة، فقال: "فإن قيل ولِمَ لَمْ يتمكّن حالُ المد إلاّ أن يجاور الطَّرَف قيل إنما جيء بالمد في هذا الموضع لنَغْمَتِهِ وللين الصوت به، وذلك أن آخر الكلمة موضعُ الوقف، ومكان الاستراحة والأَون، فقدموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يخفض من

غُلَوَاء الناطق واستمراره على سنن جريه وتتابع نطقه، ولذلك كثرت حروف المد قبل حرف الروي – كالتأسيس والرِّدف - ليكون ذلك مؤذناً بالوقوف ومؤديا إلى الراحة والسكون، وكلما جاور حرفُ المد الرويَّ كان آنس به وأشد إنعاماً لمستمعه "(٨٩)، ويقول الزركشي "كثر فى القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك"(٩٠).

بل إن هناك من يجزم بأن حروف المد التي تسبق حروف الروي هي الأهم لأنها التي بني عليها الإيقاع وما يجيء بعدها إنما هو للتلوين(٩١)، ويعلل الدكتور عز الدين السيد أثر هذه المدود في الفواصل القرآنية بقوله : " والمدود في الفواصل، وهي نهايات الدفقات الصوتية للجمل، عند الوقف، نجد لها في القرآن من الحلاوة والإطراب حظاً يثير الإحساس بأن لها دخلاً كبيراً في الإعجاز، وهي إما مدود مطلقة يوقف عليها بصوتها، وإما ملحقة بحرف صائت تسبقه، وقد تتكرر في كلمة الفاصلة، فيضاعف التكرير قيمتها بما لايخفي جماله وأسرار إيقاعه"(٩٢).

وقد ظهر من الإحصاء بأن عدد الفواصل المردوفة بالمد في القرآن كله هو (٥١٦٥)، منها بالياء (٢٦٧٢)، وبالواو (٢٠٤٨)، وبالألف (٤٤٥)، (٩٣).

---

(٨٩) الخصائص : ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٩٠) البرهان في علوم القرآن ٦٨/١.

(٩١) انظر: قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن، د. نعيم اليافي، (مجلة التراث العربي عدد ١٥ ، ١٩٨٤ م) ، ص : ١٤٨ .

(٩٢) التكرير بين المثير والتأثير، د.عز الدين السيد، (عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٦م): ٦٥ .

(٩٣) الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمار عمان ط (٢) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، ص : ٢٩٦ .

ويظهر من خلال التتبع أن الفاصلة المردوفة بالمد في النص المدروس هي الأكثر حيث بلغت نسبتها ٨٨٪ ، والأمر كذلك في القرآن حيث بلغت نسبتها مايقارب ٨٣٪ ، ويتضح توزيع هذه النسبة من خلال الجدول رقم (٦) :

الجدول رقم (٦).

نوع المد السابق للروي وعدده	حرف الروي						
	النون (١١)	الميم (٧)	الياء المشددة (٣)	الباء (٢)	الراء (١)	المجموع	النسبة التقريبية
الياء	٧	٧	٠	١	١	١٦	٧٦٪
الواو	٤	٠	٠	٠	٠	٤	١٩٪
الألف	٠	٠	٠	١	٠	١	٥٪

لكن النسب المتعلقة بنوعية المد مختلفة ، حيث بلغت الفواصل المردوفة بالياء في الخطاب النسائي ٧٦٪ ، بينما كانت في فواصل القرآن كله (٢٦٧٢) بنسبة ٥٢٪ ، وبالواو ١٩٪ بينما كانت في فواصل القرآن (٢٠٤٨) بنسبة ٤٠٪ ، وبالألف كانت ٥ ٪ فهي أقل مما ورد في القرآن كله وهو ٤٤٥ بنسبة ٨٪ .

وبهذا يظهر أن المد (بالياء) هو الأكثر في الخطاب النسائي يضاف إليه وقوع الياء روياً بصورة زادت عما ورد في القرآن أضعافاً كثيرة ، ولعل هذا كله يتناسب مع دلالة الياء - التي هي كسرة طويلة- على المؤنث ، وذلك في مجالات المخاطبة والتكلم : كتبتِ ، تكتبين ، والكسرة تشعر بتسميتها ونطقها بالانكسار والضعف ، وهذا يتلاءم مع حال المرأة من جهة ، وكونها في مقامات المناجاة والمحاجة من جهة أخرى ، وقد كان جُلّ ما ورد في الخطاب النسائي من هذا النوع ، حتى في خطابي صاحبتي السلطة : امرأة العزيز وبلقيس ، ففيهما جزء يخص التوبة والرجوع والإنابة.

ثالثا: الوزن

إضافة إلى ماذكرنا من التوافق الصوتي، من خلال تكرار حرف الروي، فهناك التوافق الوزني، المتعلق بوزن كلمة الفاصلة، وما ينتج عنه من توازن صوتي مؤثر، وقد نبه إلى بعض هذا سيد قطب(ت ١٩٦٦م) بقوله: " إن الفواصل في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفاً متحداً، ولكنها إيقاع متشابه، مثل: بصير، حكيم، مبين، مريب، أو مثل: الألباب، الأبصار، النار، قرار "(٩٤).

وبعد هذه الرؤية العامة نستعرض بعض الخطابات التي تكررت فيها الفاصلة أكثر من مرة، وهي خطاب(امرأة عمران، ومريم، وبلقيس(الملكة)، وامرأة العزيز)، لأن هذه الخطابات يمكن من خلالها معرفة الأثر الصوتي للفاصلة في الدلالة.

فأما خطاب امرأة عمران الذي فيه مناجاة للخالق سبحانه، وانكسار من صاحبة النجوى، فنجد فيه فاصلتين: الأولى(العليم): " فتقبل مني إنك أنت السميع العليم"، والثانية(الرجيم): " وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ".

وكما نلحظ في الفاصلتين(العليم والرجيم) فقد جاءتا بوزن واحد مما يشعر بتوافق صوتي قوي بينهما، يوحي بثبات حالة صاحبة الخطاب، وثبات الموقف الذي تعيشه، بما لا يستوجب تغييرا في نمط القول، كما أن الحرف الأخير فيهما هو الميم، بما فيه من دلالة الجمع والكتم، وهذا يتناسب مع عمق شكواها وغور حزنها.

وعند التأمل في كلمتي الفاصلة (العليم، الرجيم) في الخطاب الذي معنا نجد أن الرويَّ سُبق في الكلمتين بحرف المد (الياء) مما يتناسب مع حال امرأة عمران، إذ الياء كسرة طويلة فهي مصورة لانكسارها وضعفها كما أن المد مع الميم يوجد إيقاعاً هادئاً يناسب حال أم مريم الخاشعة الداعية المناجية لربها ؛ لذا تقدم لفظ (السميع) المنتهي

---

(٩٤) في ظلال القرآن ٢ / ١٩٣ .

بالعين المجهورة - وهي لا تناسب مقام المناجاة والخشوع - فلم يقع فاصلة، وتأخر لفظ (العليم) ليكون هو الفاصلة ؛ لانتهائه بحرف الميم الذي يصور بما فيه من رنين وغنه حالها ومناجاتها الرقيقة الخاشعة لربها.

ومن جهة المعنى نجد مناسبة هذه الفاصلة، في أن طلبها بتقبل نذرها يتطلب وصف المناجَي سبحانه بما يتناسب مع هذا الأمر، فكان الوصف بالسميع والعليم مناسباً أتم المناسبة لمطلبها، إذا هي تناجي وتدعو في خفوت وخشوع وهو سبحانه يسمع نجواها ؛ لذا جاء اسم (السميع) أولا بما فيه من همس السين، كما أنه سبحانه يعلم سرها ونجواها وما لا يظهر على طرف لسانها، مما كانت تخفيه في نفسها إما من الإخلاص أو التعلق بوليدها ومع هذا تهبه لله، أو ماكانت تأمله من نذرها هذا، كل ذلك غيب لا يطلع عليه إلا المتصف بالعلم الكامل وهو الله سبحانه، لذا جاء اسم (العليم) بما فيه من قوة العين، وإحاطة اللام وقربها، ليكون فاصلة وخاتمة كلامها في المقطع الأول.

وبالتتبع وجد أن لفظ (العليم) جاء فاصلة في القرآن ٨٦ مرة، وهو الأكثر بعد (الرحيم) الذي ورد ١١٣ مرة(٩٥) ولم يرد (السميع) فاصلة أبداً في القرآن، ووردت العين رويا للفاصلة في عموم القرآن(٣٣) مرة فقط، أي بنسبة تقل عن ١٪ .

وهذا يدل على أن الفاصلة لها تميز خاص فليس كل صوت صالح ليكون رويا فيها، والذي يظهر من شيوع النون والميم وما شابههما من الحروف الخفيفة أن الفاصلة هي موقع الراحة للقارئ، لذا كثر المد قبلها كما ذكر ذلك ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، وناسب ذلك أن تختم بصوت لطيف مريح..

وفي المقطع الثاني جاءت الفاصلة الثانية(الرجيم) وقد جاءت في المقطع الذي تُعوِّذ فيه امرأة عمران ابنتها من شر الشيطان، الذي تُصَوِّر فيه (الشينُ) انتشارَ شره، و(الطاء)

---

(٩٥) انظر الفاصلة في القرآن للحسناوي : ٣١٣ .

ضخامة مكره، والنون ضعف نهايته، ثم تصفه (بالرجيم) لتتوافق مع الفاصلة الأولى وزنا وصوتا، ولتتناسب مع غرضها، فإنها طلبت الاستعاذة بربها من شره، ووصفته بالرجيم، والراء والجيم - كما يقول ابن فارس تدل على الجذب والسحب(٩٦)، وهذا ما كانت تخشاه أم مريم على مريم، كما أن (الراء) تشعر بتكرار مكره وكثرة شره، والجيم المشعرة بالقوة لاحتوائها على ثلاثة من صفات القوة: الجهر والشدة والقلقلة، كل هذا يعلل خوفها على وليدها، وتأتي (الميم) في نهاية هذه الفاصلة- بما تشعر به جمع الشفتين عند النطق بها بالحفظ والجمع والحماية- تصويراً لرغبة أم مريم في الحفاظ على جنينها من شر هذا الشيطان .

وأما خطاب مريم عليها السلام فقد كانت فيه الفواصل أكثر عددا وتنوعا، وكانت الكلمات الممثلة لتلك الفواصل هي: (حساب)، (تقيا)، (بغيا)، (منسيا) وهي كلمات ذات طابع خاص باستثناء الكلمة الأولى وهي (حساب) التي جاءت في سياق غير سياق الكلمات الباقية فقد جاءت في سورة آل ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران٣٧] فهنا الموقف مختلف عن غيره، فهو يشعر بحال راحة وطمأنينة، وقوة، والباء فيها انحباس ثم انفراج، لذا يقول عنه الأرسوزي (ت١٩٦٨م) إنه " يوحي بالانبثاق والظهور " ويقول عنه العلايلي (ت١٩٩٦م) إنه "يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما، ويدل على القوام الصلب بالتفعل"(٩٧)، ومعاني السرور والراحة والأمن يعبر عنها بطريقة تختلف عن معاني الخوف والقلق فهذه الأخيرة تُخفى وتُطوى، والأولى تُظهر وتُعلن، ولعل المد بالألف قبل حرف الروي يشير إلى هذا، كما أن تشديد الباء يشعر بالقوة والتأكيد فيما تتحدث عنه مريم عليها السلام ؛ لأنه موطن غرابة.

---

(٩٦) انظر معجم مقاييس اللغة مادة رجم.

(٩٧) مقدمة لدرس لغة العرب ، عبدالله العلايلي، المطبعة العصرية، مصر، ط بدون) ٢١٠.

ولعل اللافت للنظر في فواصل خطاب مريم عليها السلام ما ورد في حوارها مع جبريل عليه السلام لما جاءها في صورة آدمي سوي الخلقة وما تبع ذلك من أحداث ، فقد جاءت على نمط فريد يتمثل في هذه الكلمات : (تقيا ، بغيا ، منسيا) وهي فواصل تتناسب مع فواصل السورة كلها ، فما علاقة هذه الياء المشددة المطلقة بحال مريم عليها السلام ، في ذلك الموقف ؟

نلحظ هنا أن وزن الفاصلتين (تقيا ، بغيا) واحد وهو (فعيل) ، مما يشعر بوحدة الموقف ، بينما جاءت الفاصلة الثالثة على وزن مغاير(منسيا) ، وهو (مفعول) ، وهو أكثر حروفا ، وإذا ضممنا إلى ذلك ذكر مادة النسيان قبلها (نسيا) أدركنا العناية بأمر هذه المادة ، تكرارا ، وزيادة في حروف الفاصلة ، ولعل الحالة التي وصلت إليها مريم عليها السلام من اجتماع خوفها على نفسها الهلاك ، ومن الرمي بالفجور ، وخوفها على جنينها قد أوصلها إلى قول ماقالت ، ومادة النسيان هي غاية ما تتمناه لأنها البلسم الذي يأسو جرحها.

وقد جاءت الروي هنا ياء مشددة ، يذكر العلايلي (ت١٩٩٦م) أن الياء صوت"يدل على الانفعال المؤثر في البواطن"(٩٨) وهي توحي بالاتجاه نحو الذات ، كما أنها تدل على الاستقرار كما في عيْن ، وليْل ، وهي أيضاً تشف عما في صميم الإنسان من خصائص وأحوال مثل : كريم ، وجميل ، وما شابهها(٩٩) .

ومع أن كل هذا يمكن أن يسهم في تصوير جانب من حالة مريم عليها السلام لحظة خطابها ؛ إلا أن نبرة خطابها بعمومه كانت تتجه للصعود ، للخارج على ما بيناه من قبل ، بخلاف خطاب أمها فنبرته تتجه إلى الداخل ، ولعل جانب الخوف الذي هي فيه

---

(٩٨) مقدمة لدرس لغة العرب ٢١١.

(٩٩) نقلاً عن خصائص الحروف العربية ومعانيها : ٩٩ .

ورغبتها في إطالة صوتها لتبعث الخوف في نفس محدثها أو تسمع من يمكن أن ينجدها لاتمثله الياء الساكنة ، إنما تمثله هذه الياء المدية المهتزة بالشدة التي تظهر عليها ، كما أن وجود الألف التي ينطلق منها هذا الصوت المدوي بسبب تشديد الياء هو أظهر ما يصور رغبتها وحالتها ومطلبها ، لأنها تعرضت لهزات ثلاثة الأولى عند رؤية الرجل الغريب فجاءت كلمة (تقيا) ثم الهزة الثانية لما صارحها بأنه يهب لها غلاماً ، وهذا أمر تنتفض بسببه العذراء التقية فجاءت الكلمة الثانية (ولم أك بغيا) ثم جاءت الهزة الثالثة عندما ألجأها المخاض إلى جذع النخلة فهي ستضع دون زواج أو رجل ، وهنا جاءت (منسيا)(١٠٠) ، وهذا الارتجاف والخوف يمثل الحالة التي كانت عليها ، لذا جاءت الفاصلة غير مردوفة بمد بخلاف المعتاد ، وذلك لأن المد يمثل الراحة والهدوء ، والموقف هنا على عكس ذلك تماما.

وفي خطاب ملكة سبأ(بلقيس) نجد أن الكلمات التي جاءت فاصلة للآيات هي (كريم ، تشهدون ، يفعلون ، المرسلون ، العالمين) ، ويظهر فيها التوافق الوزني بين كل الفواصل(أفعال مضارعة ، وأسماء فاعل) باستثناء الفاصلة الأولى (كريم) ، التي جاءت على صيغة (فعيل) المشعرة بالعراقة في هذا الوصف ، وكأنها بهذا أرادت أن تنهي الجملة الأولى من إخبارها للملأ بشأن الكتاب بهذا الوصف ، الموحي بإجلالها لهذا المُلقَى أو ظنها أنه كذلك.

والملحوظ في بقية الواصل أن مادتها(الشهادة ، الفعل ، الإرسال ، العالم) ، تشعر بالقوة والجدية والسلطة ، وهو مايتناسب مع حال الملكة ، كما أن حضور اللام بوضوح في هذه الفواصل يلتقي مع دلالة الحيازة والتملك التي يكون ظهورها عند المرأة ذات السلطان أظهر من غيرها.

---

(١٠٠) انظر : في ظلال القرآن : ٤ / ٢٣٠٦.

ومن حيث الروى فإننا نجد أن حرف النون هو الأكثر، باستثناء كلمة (كريم) التي جاء فيها الروي ميما، وقد سبق بالياء المدية، مما قد تصور فيه الميم ميل الملكة إلى كتم وإخفاء طريقة وصول هذا الكتاب إليها بتلك الصورة العجيبة، لأن بيان تفاصيل ذلك لملئها قد يضعف منزلتها عندهم، وأما بقية الفواصل التي ورد رويها نونا فجلها كان في شأن المشاورة وبيان خطر الملوك والحرب، لذا جاءت على صيغ دالة على الحدث والزمن(أفعال مضارعة، وأسماء فاعل)، وهذا يوحي بالعمل والإقدام وهو ماتساعد الواو السابقة للروي على تصويره، بخلاف الياء المشعرة بالذات أو الداخل، كما في الفاصلة الأخيرة (العالمين)، لأنها جاءت في سياق التوبة والخضوع.

ويقرب مما سبق فواصل خطاب امرأة العزيز حيث كانت على النحو التالي : (أليم) في خطاب المراوغة، و(الصاغرين) في خطاب التبجح، و (الصادقين) و (الخائنين) و (رحيم) في خطاب التوبة، فيظهر التوافق الصوتي في كل الفواصل بين(الصاغرين، والصادقين، والخائنين)، وبين (أليم، ورحيم)، ويظهر كيف تغيرت الفاصلة فكانت في أول الخطاب (أليم)، ثم جاءت على التوالي : (الصاغرين، والصادقين، والخائنين)، ثم جاءت الفاصلة(رحيم)، وكل ذلك لأن الموقف تغير والمقام تبدل، فـ(أليم) جاءت ختاما لكلامها في اللحظة الحرجة الصعبة، وهو موقف يقتضي الاقتضاب والحجب والستر، لذا جاءت الفاصلة قصيرة رويها الميم المسبوقة بالياء المدية مما يشعر بالاتجاه نحو الداخل مع رغبة في الستر والإخفاء، وأما الفواصل الطويلة فقد جاءت في مواضع البوح والإظهار مما يتناسب معه التطويل، وجاء الروي هنا نونا، لأنها الأنسب بمقامات الظهور من الميم، كما رأينا في خطاب الملكة، ثم عاد الخطاب للفاصلة القصيرة(رحيم)، لأن الحديث عن نفي التزكية للنفس وهو موقف يحسن معه الاختصار، كما أنه حديث عن المغفرة التي تعني الستر والتجاوز، وهو ما تصور الميم التي وقعت رويا.

ولعل من الملحوظ في الموازنة بين الخطابين وجود ياء المد السابقة للروي في كل تلك فواصل خطاب امرأة العزيز مما يشير إلى الذاتية والانكسار في خطابها أظهر منه عند الملكة، التي كثر في خطابها المد بالواو وهذا فيه إبراز لقوتها نظراً لقوة الواو أو لأن النطق بها يومي بإظهار الشيء، والعزم على التقدم، ولا عجب فهي ملكة والقضية التي تطرحها تحتاج قرارا عاجلا، والأمر مختلف بالنسبة لامرأة العزيز فالأصل في موضوعها الخفاء والخوف والستر.

الخاتمـــــة

هدفت الدراسة المعنونة بـ: القيم الصوتية في الخطاب النسائي في القرآن الكريم إلى إبراز أثر الصوت- بوصفه المكون الأصغر للكلمة - في توجيه المعنى أو إيضاحه، من خلال نص محدد.

وقد شملت الدراسة الخطاب النسائي لكل من (امرأة عمران، مريم امرأة إبراهيم، امرأة العزيز، النسوة، ملكة سبأ، امرأة فرعون، أخت موسى، ابنتا الرجل الصالح، أم موسى، زوج النبي ρ) واقتصرت الدراسة على تحليل النص المعني من خلال محاور معينة هي:

١- مخارج الأصوات وصفاتها.

٢- الحركات والمدود.

٣- الفواصل.

وقد اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، واستثمرت الإحصاء بوصفه أحد المحددات لمعرفة تأثير الصوت في المعنى، واستفاد الباحث من آراء المختصين في الدراسات الصوتية، وكذلك من آراء المفسرين، واتضح من خلال هذا المنهج النتائج التالية :

١- أن الخطاب النسائي في القرآن قليل إذا ما قورن بغيره فهو لا يتجاوز صفحتين، ومع ذلك فقد مثّل أنواعا من الخطاب، لنماذج متعددة من النساء، فهناك الأم، والزوجة، والعزباء، والحاكمة، كما نجد خطاب الابتهال والنجوى، وخطاب المكر والقوة، وخطاب العقل والرزانة، وخطاب العفة والشرف، وخطاب الخضوع والشهوة.

٢- أن القول بدلالة الصوت على معنى محدد لا ينفك عنه أمر غير مُسلم ؛ لأنه إن ظهر في مواضع فقد لايظهر في غيرها، وإذا بان في صوت فقد لا يكون ظاهرا- بالنسبة نفسها- في صوت آخر.

٣- أنه بناء على ما سبق ينبغي أن يكون النظر إلى الدلالة الصوتية على أنها دلالة داعمة للمعني لا منشئة له.

٤- أنه لم يظهر لي اختصاص صوت محدد بخطاب المرأة، اللهم إلا مايخص النون من حيث نسبة التكرار.

٥- أن دلالة الحركات (القصيرة والطويلة) على المعنى كانت أوضح من دلالة الصفات والمخارج، مما يوجب العناية بهذا الأمر.

٦- أن تأثير موضوع الخطاب في نوعية الصوت وحركته أوضح من تأثير جنس المتكلم به.

٧- أن الخطاب النسائي في القرآن على قصره مليء بالدلالات والإشارات في جوانب اجتماعية ونفسية متعددة.

المراجع

أسباب حدوث الحرف، ابن سينا، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ط، بدون، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨ م).

أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد، (نهضة مصر، القاهرة، ط بدون) .

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي(دار الكتاب العربي، بيروت،) .

الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي ، تحقيق مازن مبارك ، (دار النفائس - بيروت ، ط (٥) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م).

الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن ، للإمام الصنعاني (ت ١١٨١ هـ)، تحقيق : د. عبدالوهاب الديلمي، (مكتبة الإرشاد صنعاء، ط(١)، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) .

بدائع الفوائد، ابن القيم (ت ٧٥٧ هـ) ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا، وآخرون، (مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة، ط ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)..

البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعرفة - بيروت ، ط بدون، ١٣٩١م) .

البلاغة العربية ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط(١) ، (دمشق ، دار القلم ، بيروت ، الدار الشامية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) .

التجويد الواضح للشيخ أحمد الطويل ، (دار ابن خزيمة – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م) .

تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: د.عبدالله التركي(دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).

التكرير بين المثير والتأثير، د.عز الدين السيد، (عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٦م).

التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي)، أحمد أبو زيد (كلية الآداب في الرباط، ط بدون، ١٩٩٢م).

خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، للدكتور: عبد العظيم المطعني، ط(١)، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، (منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط بدون، ١٩٩٨م).

الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط بدون).

دراسات فنية في القرآن الكريم، د. أحمد ياسوف، (دار الكتبي، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)

دراسات قرآنية في جزء عم، د. محمود نحلة، (دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩مم).

الدلالة الصوتية في اللغة، صالح سليم عبدالقادر، (جامعة سبها، ط بدون، ١٩٨٨م).

روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط بدون).

زكي الأرسوزي ودور اللسان في بناء الإنسان، خليل أحمد، (دار الشبيبة، مؤسسة الوحدة، ط بدون، ١٩٧٨م)

سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق : د . حسن هنداوي ، (دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

الصاحبي ، ابن فارس ، تحقيق : مصطفى الشويحي ، (المكتبة اللغوية العربية بيروت ، مؤسسة بدران ، بيروت ، ط (بدون) ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م).

الصوت اللغوي في القرآن ، د. محمد حسين الصغير (دار المؤرخ العربي بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، -٢٠٠١م).

علم الأصوات ، كمال بشر(دار غريب ، القاهرة ، ط بدون).

علم اللسانيات الحديثة ، د . عبد القادر عبد الجليل ، (دار صفاء عمّان ، ط (١) ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢ م) .

الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمار عمان ط (٢) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني(مؤسسة الريان ، بيروت ، دار المغني الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م).

الفواصل القرآنية ، دراسة بلاغية ، د . السيد خضر ، (مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط (١) ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م)

في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق.

القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، (دار الجيل ، بيروت ، ط بدون ،) مادة عصم.

قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن ، د. نعيم اليافي ، (مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، عدد ١٥ ، ١٩٨٤م).

القيمة الوظيفية للصوائت ، دراسة لغوية ، د . ممدوح عبد الرحمن (دار المعرفة الجامعية مصر ، ط (بدون)).

الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، (مكتبة الخانجي ، دار الرفاعي ، القاهرة الرياض ، ط(٢)١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

كتاب العربية الفصحى(نحو بناء لغوي جديد) ، هنري فلاش ، ترجمة ، د.عبدالصبور شاهين ، (بيروت ، ط بدون ، ١٩٦٦م.

لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر — بيروت ، مادة : صوت .

اللغة واختلاف الجنسين ، د . أحمد مختار عمر ، (عالم الكتب ، القاهرة ، ط(١) ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر ، د . ممدوح عبد الرحمن (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط (بدون) ١٩٩٤م) .

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تحقيق : د / أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة (دار الرفاعي — الرياض ، ط(٢)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م) .

مجمل اللغة لابن فارس ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ، مادة : حرف.

المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د .عبد العزيز الصبيغ ، (دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ط (١) ، ١٤٠١ هـ - ٢٠٠٠م).

معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، (مكتبة الخانجي مصر ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨١م) مادة عصم.

مقدمة لدرس لغة العرب ، عبدالله العلايلي ، المطبعة العصرية ، مصر ، ط بدون).

من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) ، الدكتور : عبد الفتاح لاشين ، ط(١) ، (جدة ، شركة مكتبات عكاظ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

من بلاغة القرآن ، الدكتور : أحمد أحمد بدوي ، ط(٢) (الفجالة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧٠هـ) .

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، اعتنى به : عبدالرزاق غالب المهدي(دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).

Phoneme Significance in the Qur-anic Female Discourse

Al-atawi awid

Teacher Training College-Tabok, Kingdom of Saudi Arabia

(Received 4/6/1428H.; accepted for publication 12/3/1429H.)

Abstracts.This study aims at investigating the effect of phoneme, as a smallest word unit, on directing and clarifying the meaning of women-oriented discourse in some selected Qur-anic verses. The effect of phoneme was traced in the discourses of Imran's Wife, Abraham's Wife, Aziz's Wife and her female Companions, the Queen of Sabaa, Pharaoh's Wife, Moses' Sister, Shaib's two Daughters, Prophet Mohamed's Wives, and Moses' Mother. The study applied the inductive statistical analytical approach to trace the effect of phonemes on the discourse meaning. The investigation was limited to three phonemic features.

1- Phoneme 'articulation' and 'characteristics'.
2- Phoneme 'vowelization' and 'lengthening'.
3- Phoneme ' ultimate positioning'.

According to the findings of the study, the following conclusions were reached.

1- Despite the limited use of female discourse in the Holy Quran, it encompassed all female statuses such as the mother, the wife, the unmarried, and the governess. Moreover, female discourse includes supplication and whispering, deception and power, wisdom and solemnity, chastity and honor, and submission and sensuality.
2- The phoneme does not create the meaning, yet it can support it.
3- There is no special female phonemes except for the /n/ which is frequently used to denote feminine agent.
4- The significance of 'vowelization' and 'lengthening' was more evident than the significance of ' ultimate positioning'.
5- Topical effect is more significant than gender effect in discourse.
6- Approaching phonological connotation and significance is rather problematic particularly when tackling the Holy Qur-anic text. Therefor, such type of research needs more caution.